

# الضاحك والبناني

فيلكتور هينغو



المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت





قصص الملائين

الضاحك و  
الباب

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٣ / ١٩٨٣ هـ

فِيكَتُورْ هِيَفُو

# الفتح والبيان

**\*\* معرفتي \*\***

**[www.books4all.net](http://www.books4all.net)**

**منتدى سور الأزيكية**

الكتب التجارية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت



## قصص الملايين

هذا مسلسل روائي تصدره تباعا ، وقد اخترنا له  
اجمل الروايات وأغناها في الحوادث والمفاجآت والمغامرات .  
اخترنا « قصص الملايين » من بين أمهات القصص ،  
التي ألفها رواد مشهورون عاشوا وكتبوا للفن ، وماتوا  
ايضا في سبيل الفن .

فالقصة حياة ، والصدفة لها المقام الاول في هذه  
الحياة ، لانها تحمل في طياتها المفاجآت العجيبة والاحداث  
الغريبة .

أجل ، القصة حياة كاملة تلعب فيها الصدفة الدور  
الاول ، لان المخاطرة ، والمجازفة ، والحب ، والبغض ،  
والقتل ، وسفك الدماء ، كل هذه الامور المعبرة في جوهرها  
عن نزوات جامحة ، هي ولا غرو وليدة الصدف الطارئة التي  
لم يحسب لها أحد حسابا .

لهذا تبوات القصة القمة لانها الصدفة المجسمة لعنقود  
من الصدف .

ولهذا غدت القصة من لزوميات الانسان في حياته ،  
كالطعام والشراب ، وكانور والهواء .

**الناشر**





## الغلام

غلام دامس ، وشاطئ مهجور ، وسفينة صغيرة لا  
تملك من أمرها الرجاء أو الرسو .

وسبعة أشخاص ، وغلام مذعور ، وليل بهيم اخنبت  
مصايحه وخليج بورتلاند الانكليزي يشهد منظرا فريدا .  
فالناس نيام ، والرياح تزار ، والارواح الشاردة ، والرجال  
ينقلون الاطعمة والماء .

أحس الغلام بالرهبة ، وجعل يصدع بالامر وهو  
يختلس النظرات الوجلة الى الاشخاص السبعة الذين  
انهمكوا في العمل .

سبعة اشخاص جمعت بينهم الجريمة ، ألوا ان يسوموا  
الغلام ألوانا من الخسف ! كانوا يزجرونه ، ويزمجرون ، ثم  
يطلقون أيديهم الى رأسه بلطمة قاسية .

كان ابن العاشرة يئن ، فلا ينظر لأنينه كبد ، ولا يرق  
لتوجهه فؤاد ، بالرغم من وجود امرأتين مع الجماعة المجهولة

الغاية والمقصد •

ولما انتهوا من حمل ائقالهم الى السفينة ، وصعدت  
المرأتان لآخر مرة ، وهم الغلام باللحاق بهما ، رفعه رجل من  
الرجال بخشونة ، فآلقاه أرضا ! وما هي الا لحظة حتى رفع  
الموح الخشبي الذي كان يصل المركب باليايسة •

وظل الغلام يحملق في الظلام فاغر الفم ، لا يكاد يفهم  
شيئا مما جرى •

وحاول ان يتكلم •• حاول ان يعبر عن شعوره ، بيد  
ان لسانه ألجم في فمه ، فما نطق •• انما وجف قلبه ووجب  
وشعر بالدوار •• والبوار !

وشخص الى قلووع السفينة المبتعدة ! انه وحيد - لم  
يعرف احدا سواهم ، مع انه لم يشعر الا بالنفور منهم ! فما  
العمل ؟ ليل مدلهم •• زمهير •• وحدة مريعة •• جوع  
يضور !

« اواه ••• » ندت الصرخة من صدره ! وكأنه رجل  
يتضور من الشقاء ويتحرق على الرمضاء !

ولم ير بدا مما ليس منه بد •• وأدار وجهه ومشى !  
وجعل يرقى الصخور ويتسلق المرتفعات •• وهو كلما قطع  
شوطا ، خيل اليه ان الارض تنبع من تحته ! وتعشر •••  
فسقط ونهض ! واشرق بدمعه ، ورقاً العبرات الهامية •  
وترامت الارض أمامه فجأة ، والتفت خلفه فقيد لحظه

قبس ضئيل يتراقص من بعيد - انه ضوء المركب - ورفع  
يديه الى السماء وهتف بصوت يقطع نياط القلوب :  
« أواه ... »

وزارت العاصفة ، فاستأنف السرى ، ومشى ..  
ومشى ..



كانت اوروبا في القرن السابع عشر محصورة في اطار  
أغبر من الهمجية ، وكانت الاحداث تملأ النفوس هلعاً ، وقد  
اصطبغت انكلترا بلون الدم ، فسادتها الجريمة ، وساهمت  
السلطة في البلبلة ، فاتخذت من النكلة وسيلة لغاية ، هي  
غاية الانتقام والاستعباد !

وعرت ذوي القلوب هزة من الحزن ، لما شاع من  
قيام العصابات بخطف الاطفال لقاء مبلغ من المال ، وتشويه  
وجوههم ، وتغيير أمائرهم بما يخضعون هذه التقاطيع لها من  
المسخ بالمشروط ، ومن تمزيق أطراف العيون والافواه ، ومن  
جدع الانوف والآذان !

كانوا يمثلون بالاطفال ، حتى اذا ترعرعوا أمسوا  
كالمهرجين ، يضحكون الناس بمنظرهم ، ويكون هم !  
وقد برع كثيرون في عملية التشويه ، ولجأوا الى  
ضروب شيطانية .

في عهد الملك جيمس الثاني ، نالت هذه الطغمة  
الشريرة الخطوة ، فامتدت مشارطهم الى وجوه طاهرة لا  
ذنب لها الا نفور الملك وأعوانه من آباءهم .. وقد طالما عبثت  
هذه المشارط في وجوه اطفال طمع زبانية البلاط في ثروة  
آبائهم ، فعملوا على استئصال الوارث الوحيد !

وكان الطفل متى نالت السكين وطرها من وجهه ،  
تتغير معالم هذا الوجه ! والعجيب في الامر ان الملك كان  
يعضدهم ويمنع ان يسيء اليهم احد . وكان هؤلاء الاطفال  
يفقدون الذاكرة مع فقدان المظهر .. فكيف ؟ ولم ؟

ما اكثر ما كتب اصحاب الضمائر وقتذاك .. ما اكثر  
ما كتبوا في ذم هذا العمل الرهيب ! ولكن .. ما اكثر ما  
فقد شجاع رأسه لانه تجاسر فجهر بالحقيقة !

كانت وحدة العمل تشج بينهم رغم تنوع أجناسهم ،  
وتحت الواحد منهم على مظاهرة زميله ، ولو ترتب على ذلك  
تعرضه للمعاطب !

فلما سقط جيمس الثاني وخلفه وليم الثالث في عام  
١٦٨٨ ، شهرها حربا عوانا على تجار الرقيق هؤلاء ..  
وطاردتهم ونكل بهم ، فتفرقوا شذر مذر ، وهاموا على  
وجوههم .

وكانت الشرذمة التي تركت الغلام وركبت متن البحر ،  
احدى هذه العصابات ، فلما ضاقت في وجهها سبل العيش ،

وحاق بأفرادها الخطر ، عمدت الى الفرار مخلفة وراءها  
الفتى المسكين الذي شاهدناه يصارع الليل ، ويقتحم  
الظلمة ، ويخبط على غير هدى في تيه من الصخر والرمل  
والبرد !

## المسافرون

ألقوا خيرهم ، وأبقوا شرهم .. وها هم أولاء يركبون  
البحر طلبا للنجاة !

خمسة رجال وامرأتان ، والربان وملاحان .  
قطعت السفينة في الماء فرسحا ، فاطمأن القوم ،  
وترأى لهم ان السلامة باتت مضمونة .. أما رئيسهم المديد  
القامة ، فقد دأب على التنقل واصدار الاوامر .. ولكن  
شيطانهم تخلى عنهم ، والله لم يشأ ، علا شأنه - ان  
يرحمهم ، فقد هبت عاصفة هوجاء فاقتلعت الصاريفة  
الكبيرة .

ومع ذلك ، فما روعتهم المفاجأة ، وكانت حالتهم أشبه  
بحالة مشف استنشأ النفس الاخيرة براحة ، فأيقن ان الوعكة  
زالت !

واحد منهم وخط الشيب رأسه اختلف رأيه - واحد  
وخط الشيب رأسه واستسلم للتفكير - كان هذا الكهل

مطرقا يتأمل ، وكان يشعر بالندم ، ويرمق الربان بنظرة  
متفحصة .. كانت عيناه تقولان : « تلك هي المشيئة ،  
وستحمل عاقبة جرائرنا ... لقد بدأنا الشر ، وللشر بقية  
لا تعود الا مع بادئه ! »

كان الاثنان - الشيخ والربان - في شغل عن الجميع  
بأفكارهما . فالاول كان يرفع رأسه الى الافق المكفهر ،  
والثاني يطيل التحديق الى اللجة المزبدة .. وكأنهما يحاولان  
ان يستشفا الغيب !

ودنا رئيس العصابة من الربان وابتدره قائلا :

- « أي الرجال هذا ؟ »
- « انه أطولهم باعا »
- « وما هي لغته ؟ »
- « يلم بلغات الناس كافة ؟ »
- « ماذا يعلم من شؤون الدنيا ؟ »
- « كل شأن .. يعرف ما يجهله الناس »
- « ما اسمه ؟ »
- « لا اسم له ، ويكنى بالمجنون »
- « وأنت ، أتدعوه كذلك ؟ »
- « أنا ؟ كلا .. بل اسميه الحكيم »
- « ما هي مكاتته بينكم ؟ »
- « المرشد والملهم والعليم »

« أتدري أنني أرى فيه لغزا ؟ » •

« أتدري أنه مرآة صافية ؟ »

وشقت السفينة طريقها في اليم ، وعاركت الامواج .  
واستسلمت لها مكرهة ، فتقاذفتها كأنها كرة ، وعبثت بها ،  
فاهتزت •• وارتعشت القلوب • وتكاثف الظلام ، وهدرت  
المياه • وزمجر الاعصار ، وناح ملاك ، وقهقه شيطان !

أما المجنون — أو الحكيم — فجمد في مكانه لا يحول  
عينيه عن جهة الشمال • ودنا الربان منه ، وجعل يتأمل فيه ،  
ولا يدري ، أيحترمه أم يزدريه ؟ أيتجاهله أم يعترف  
بوجوده ؟

وقال أخيرا : « لي كلمة معك يا سيدي » •

قال : « تكلم •• فكلي آذان صاغية » •

« ما دمت كذلك ، فعندي سؤال » •

« سل ما بدا لك » •

« أفي حوزتك جهاز الارتفاع والانخفاض ؟ »

« كلا •• » •

« وكيف يتسنى لك معرفة مركزك في البحر ؟ » •

« لنا نحن الاسبان خبرة ودراية في الملاحة » •

« على ان الليل بهيم ، فكن متحذرا محترسا » •

« ليطمئن بالك ، فلست من الجهلة » •

« وكم ميلا في الساعة تسري السفينة ؟ » •



• « خمسة أميال »

« الى أين تقصد بها ؟ »

• « الى مكان يقع بين ليولار وسان سبستيان »

« كن متيقظا ، فالهواء المتجه في تيار يسبب تجاوبا

في البحر ، ومتى وجد التيار المائي استفحل الخطر »

« أصبت . فأخشى ما أخشاه هو التيار المائي .. فتبا

للبحر ! » •

« لا تقذع في البحر ، فهو يسمع ويعي .. وهو

غضوب حقود ! » •

« أتؤمن بالخرافات ؟ »

« قد يكون ذلك ، وما عليك الآن الا أن تصرف في

المراقبة جهلك » •

« لن تغض لي عين .. واننا الآن مبتعدون عن

التيارات » •

وصمت الشيخ ، ثم رفع رأسه • وما كساد يفعل حتى

قطب فزعا ، وتستم : « كنت أتمنى على الله أن تكذب

نبوءتي ، ولكن ... » •

وأخذ ثانية للصمت ، وحدد طرفه في بقعة داكنة

صغيرة ، وما عثم ان قال : « انظر .. انها تقترب ! » •

قال الربان : « أوضح يا هذا ! » •

فأشار الرجل بيده وأجاب : « أما ترى تلك الغمامة ؟ »

- قال : « وما يهلك من أمرها ؟ » •
- قال : « انها نذير الويل ، فمثل هذه السحب تجلب  
الدمار ! » •
- « ومن لقنك هذا ؟ » •
- « الحياة ، والتجربة . والبحث » •
- وتضخمت السحابة الداكنة ، فتضاعفت الظلمات التي  
غرق فيها البحر •
- واستطرد الشيخ : « حول مجرى السفينة الى  
الغرب » •
- « أتظنني مخبولا ؟ » •
- « افعل ما أقوله ان شئت النجاة ! » •
- « ان حولناها الى الغرب عاكستنا الريح ، وقللنا من  
السرعة ، وضربنا في تيه من الموج .. وقد تهب رياح عاتية  
تحطم كل شيء .. فهل تصر ؟ » •
- « أجل ... » •
- « دون ذلك خرق القتاد » •
- « افعل ما ترتئيه » •
- « أتريد مني أن أواجه الريح بهذا المركب الصغير ؟ » •
- « قلت لك افعل ما تشاء ، على ان تتجنب المشرق ،  
ففيه العطب ! » •
- « سأوجه الدفة اذا الى المغرب كما قلت أنت » •

وحدجه الكهل بنظرة صارمة وقال : « افعل ذلك ،  
ولكن ان تناهى الى سمعك صوت أشبه بصوت الناقوس ،  
فقل : لقد انتهينا ! لان الموت يكون بالمرصاد لنا ! » .  
فارتعد الربان ، ونظر الى الوجه المعروق وأجاب : « لا  
أدري ، أمجنون أنت أم نبي ؟ اننا الآن في معترك الظلام ،  
وأراك تود لو خضنا معترك الموت ! ألا قبحا لك ! »  
وابتعد الربان ، وهو يشعر كمن هتك أمنه ! «  
وما لبث ان أصدر أمره ، فتحولت السفينة ، وافتحت  
ابواب اللجة في وجهها ، فمضت تشق العباب كسكران  
مترنح يكاد يسقط اعياء !

### نهاية مركب

حدث الربان نفسه وهو يتتعد عن الكهل : « تعسا له !  
كان بودي أن ألقيه في البحر ! » •

وشعر بقشعريرة تصيبه فتصتك ركبتاه ، وأهرع الى  
المقدمة ، فأرسل بصره على سجيته ، ثم استدار وهو يرد  
بحزن وأسى : « انه على صواب ، فالخطب يوشك ان يفدح ،  
النهاية تقترب •• ها هي العاصفة تشتد عنفوانا •• ها هو  
الهلاك يهجم على صرحنا ليعاجلنا بالردى ؟ يا لكربي ! ان  
الشجا يدوي في قلبي ! »



هل وكل بهذا الشيخ باب جهنم ؟ انه يتكلم كالواق  
مما يقول !

والتفت الربان الى مكان الشيخ فلم يجده ! واستدار  
ثانية الى القبة الدامسة ، فاذا الضباب يغشى الافق ويملا

السماء !

أما الشيخ فقد نزل الى قاع السفينة ، واتجه من فوره الى المطبخ فقعد القرفصاء قرب رجل كان منكبا على اعداد الطعام ، واخرج من جيبه ورقا وقلما ، ثم اخرج قطعة من الجلد الجاف الابيض ، بسطها أمامه وجعل يدون عليها كلمات .

واسترعى انتباهه زجاجة كان الرجل الآخر يرفعها الى فمه من حين الى حين ، فحدد طرفه فيها ، وقرأ عليها اسما ما كاد يتبينه حتى جمدت يده ! لقد قرأ اسم — هركانون — فما معنى هذا ؟

ورأى ان يسأل ، فقال للرجل : « هل الزجاجة التي في يدك لهركانون ؟ »

فأجابه الرجل : « انها له .. يا للشقي .. ما أتعبه ! »

« أهو نزيل السجن ؟ ألم يطلق سراحه ؟ »

« كلا ، بل ما برح يقاسي ألوان العذاب » .

« في سجن شاتام ؟ »

« أجل ، وقد احتفظت بالزجاجة كي أتذكره ، فهو خل

وفي لا يخنث » .

واستأنف الكهل الكتابة . فلما انتهى . وكأنه كان على

ميعاد مع الطبيعة . زمجر البحر ، ولعلمع البرق . وقصف

الرعد ، وارتجفت السفينة وانخلعت ، حتى نذف في روع  
من فيها انه يوم الحشر • وهب الرجل واقفا ، فجفف المداد  
على نار الموقد ، ثم وضع الجلد في جيبه • وهروا صاعدا •  
هدأت العاصفة بعض الشيء ، فعادت الطائنة الى  
القلوب ، وغلب المرح على الركاب ، فانساقوا مع التفاؤل ،  
وأخذوا يصخبون ويفكهون - وهذه فطسة الانسان ،  
ينسى في دقيقة ما حصل قبل دقيقة •

هكذا الانسان ، أما كهلنا الاسيان فانه راح يرقب  
الغمام الاسود ، ويصيخ الى زئير الريح •  
وارتفع صوت الرئيس الجمهوري يقول : « ها نحن  
أحرار ايها الرفاق ، فانعموا بالا ، واهتفوا معي : « حمدا  
حمدا ! » •

ولكن صوتا أهاب بهم : « كفوا عن الضجيج ، فالبحر  
موردكم حتفكم ! اسكتوا ، هذا الجرس قد ارتفع في  
البحر صوته ... ارهفوا السمع ! » •

وصت الجميع كأن على رؤوسهم الطير ... ودوى  
الصوت ... ما هذا ؟ أجرس يقرع ؟ ومن يقرعه ؟ وما هذه  
الليلة القبيحة ؟ أليس لها من آخر مع النهار ؟ لا بد ان الشر  
قد استيقظ وانطلق من اساره !

وشاء الرب ان يسري عنهم ، فققهقه يضحك وهو  
يقول : « لا ريب في اننا اقتربنا من اليابسة » •

فأجاب الكهل بصوت حزين : « كلا ، بل نحن على  
بعد سحيق ! » •

فقال الربان : « بل اننا أقرب ما نكون اليها ، والا فسن  
اين بقرع الجرس ؟ » •

« من الأعساق .. من اللجة ! » •

« هذا هراء ! » •

« ان لم يكن قولي الحقيقة ، فلا كنت الا رجلا  
يسئاهل الموت ! » •

وساد الصمت ثانية ، وتعلقت احدى المرأتين بعنق  
رفيقتها ، وأخذت تبكي •

واستمر الصوت يدوي ، واستطرد الكهل : « غريب  
ان ينبعث الصوت من قاع البحر ، الا انه يصدر بقدرة  
قادر ، ومتى ارتفع فمعنى ذلك ان البحر يستعد لالتهام  
لقسته ، ونحن الليلة لقسته ! » •

وصرخت امرأة : « يا للخسارة ! » •

وأعولت الثانية • وارتفع صوت هائل .. وتحطمت  
الساوية !

نشطوا يعملون ويقاومون البحر • فمن يعلم ؟ قد  
يسلكون من أمرهم خيرا ، قد ينجون !

غير ان الكهل بدا بمظهر الاسيف القانط •  
واجتاح السفينة موجة هائلة ، فكسحت الدفة ،

وحملت معها الریان • وغدت السفينة كريشة في مهب  
الريح ، ولم يعد في مقدور أحد ان يعلم مكان البعد ومكان  
القرب في هذا البحر ، وفي هذا الظلام !

وومض على حين غرة ، بصيص من نور أحمر أحيا  
ميت الامل ، فصاح رجالان بصوت واحد : « انه ضوء  
الشاطيء الامين ! » •

كان هذا بالفعل فنار كاسكنس • وخيل الى الشاردين  
في البحر أنهم لن يلبثوا ان يطأوا اليابسة •

وتلاشى أملهم بسرعة ، وعصفت الريح بالمركب ،  
ودفعته الى الصخور • وبدأت المياه تخف ، فتأرجحوا في  
مياه ضحلة • وتناهى الى مسامعهم صوت تكسر الموج على  
الصخر ، فزاغت عيونهم ، ثم ما هو الا قليل حتى أغمضوا  
هذه العيون • ولما فتحوها رأوا المشهد الم هول ، رأوا  
الصخور الشماء كالإشباح السمود ، تقف حائلا بينهم وبين  
الخلاص !

واقترب المركب من الصخور • ولاحت لهم صخرة  
رهية تناطح السحاب ، فصرخوا بصوت واحد :

« يبيلت ••• الصخرة الملعونة ••• يبيلت ! » •

وهتف رئيسهم : « أفيكم من يركب متن الاخطار ؟  
أفيكم شجاع ينطلق كالشيطان الى الصخرة بحبل قد تكون  
فيه نجاتنا ؟ »



ولما لم يرتفع صوت بجواب ، جاء بلوح خشبي  
عريض ، ألقاه على حافة المركب ، وأمر رجاله ان ينطرحوا  
عليه ، حتى اذا اصطدموا بالصخرة ، تحمل اللوح وطأة  
الصدمة ونجا المركب •

وخفت قلوب الرجال ، ففضلا عن تعرضهم لصدمة  
قاضية ، فالناجي منهم يسقط لا محالة في البحر • ولكنهم  
لم يجدوا مناصا من المجازفة ، ففي صمودهم الامل والرجاء!  
ودوى صوت شديد ، والتطمت بالمركب موجة  
كالجبل ، وارتطم اللوح بالصخرة ... وصاح الرجال ألما ،  
وانطرحوا وهم يتلوون .. وانحرف المركب وابتعد •  
فهل نجوا ؟

خفت صوت الجرس • واكتفتهم ظلمة دامسة •  
وأرغت الشياطين وازبدت ...  
انها غاضبة ... غاضبة ...

## فناء

أصبحت السفينة كرة تتقاذفها الامواج والانواء •  
وذهلت قفوس من فيها ، فهم هالكون لا محالة • وتهاووا  
على الارض ، وغرسوا أظفارهم في الخشب • • وخيل اليهم  
ان الله لبي استغاثتهم • فقد هدأت العاصفة ، وتقشمت  
السماء عن نجومها •

ما لبثوا ان وقفوا بعد تهالك ، وشعروا بديب الحياة،  
وعودة الروح ، فتجاذبوا أطراف الحديث ، وضحكوا بعد  
بكاء • • وقالوا ، او قالت مشاعرهم - اننا في أمان ، ولن  
نلبث ان نصل شاطئ السلامة !

ولكن فزعهم المولي أطبق على قلوبهم من جديد ،  
ساعة قال نوتي :

« ويلنا • • قد هلكنا ! الماء يتسرب ويعلو ! » •

وعقب آخر بصوت متحشرج : « اننا هالكون ، اننا

غارقون ! » •

حاول رئيس العصابة ان يعرف مكان الشجرة الا انه  
أخفق في محاولته ، فعاد الى السطح وقال : « ضاع الامل .  
فاستعدوا لمواجهة الموت » •

وارتفع الماء ، وغاصت السفينة . ولكنهم لم  
يستسلموا ، وشرعوا ينزحون الماء بالدلاء • على انهم لم  
يستفيدوا شيئا ، فقد ضحك منهم البحر وارتفع باستمرار •  
وحث الرئيس رجاله على قذف الامتعة الى البحر ،  
ف فعلوا ما أشار به ، فخفت السفينة ، ولكنها ما برحت تتقدم  
نحو الهاوية •

وقال أحدهم : « أمن شيء آخر يمكن ان نقذف  
به ؟ » •

فأجابه الكهل دون اكتراث : « أجل • • يتوجب علينا  
الآن ان نقذف جرائرنا وجرائمنا ! » •

ولفظوا فيما بينهم • وتأمل الكهل في السماء ، وأردف  
بصوت لا ينم عن خوف : « هلموا • • ألقوا قرائنكم  
وأوزاركم • • ألقوا بها حتى تطرقوا باب الرحمة بالتوبة • •  
لنتضرع الى الله فقد يتقبل توبتنا •

« ما أكثر ما جنيتم أيها التمساء ! لقد أضرتكم بغلام  
بريء فشوهتموه ، ثم تركتموه في بهيم الليل ليموت من  
الخوف ، أو من العاصفة ، أو من وحش ضار جائع يجد فيه

• ما ينشد ! » •

« اننا ماضون الى المجهول، فلنكفر بالصلاة! اجثوا •  
اجثوا • • نكسوا عيونكم ، والطمسوا رؤوسكم ، واذرفوا  
الدمع •

وارتفعت أصواتهم : « اللهم ارحمنا » •  
ثم اتجهت أبصارهم وعقولهم الى الكهل ، وخاطبوه  
بصوت خاشع خاضع : « وأنت أيها الحكيم ، مر نصدع !  
قل تفعل ما تقول ! »

وأجابهم الرجل : « معضلتنا عظيمة ، فأماننا هاوية  
هائلة مجهولة الاتساع والعمق • • أماننا هاوية رهيبة ،  
فكيف لنا أن نجتازها دون أن نسقط في جوفها ؟ » •

وانقطع عن الكلام ، وأنصت • وأرهف الرجال  
والمرأتان السمع ، وانتظروا على أحر من الجمر •

وقال الكهل متسائلا : « أخبروني ، كم بقي لنا من  
الوقت الذي نحيا فيه بأجسامنا ؟ » •

فأجابه أحدهم : « ربع ساعة ! » •

قال : « هذا يكفي » •

وأخرج من جيبه حبرا وقلما والرقعة الجلد التي خط  
عليها ما عن له من خواطر ، وقال : « هل لي بضوء ؟ » •  
وأسرع نوتي فأحضر المصباح ووضعه قريبا منه وعاد  
الى مكانه •

وانحنى الكهل فرفع الرقعة الجلدية وطفق يتلو  
الكلمات الرهيبة ببطء ، وكأنه يتخير اللفظ تخيرا •  
وانتفعت الوجوه ، وزاغت العيون ، وشردت الافكار •  
وانبجست ابان ذلك العبرات من مآقي العتاة !  
غاصت السفينة ، واقترب شبح الهلاك • وانتهى الرجل  
من القراءة ، فبسط الرقعة على لوح من خشب ، وشرع قلمه  
فوقعها باسمه ، وكان اسمه جرنادوس جيستيموند •  
ثم اثنى الى الآخرين فدعاهم الى التوقيع • ولم يتردد  
أحد منهم ، بل ذيلوا الاعتراف الرهيب بأسمائهم •  
ولما انتهوا ، كتب الكهل هذه العبارة تحت الاسماء :  
« قاد السفينة ربان واحد وبحاران • انني أسطر هذه  
الكلمات والردى ينشر علينا ظلاله الحالكة » •  
وفادى على الطاهي فأمره ان يأتيه بزجاجة خاوية •  
فلما جاء بها فتح الكهل سداتها ووضع فيها الرقعة ،  
وارجع السدادة الى مكانها ، وغطسها بالقطران الغالي حتى  
لا يتسرب اليها الماء •  
واحنى الرجال رؤوسهم ، وأغمضوا عيونهم ، وارتفع  
صوت الكهل يقول : « الموت يدنو ... فلنستقبله ! » •  
وتناول المصباح فقذف به في اليم ، ثم جثا ، وحذا  
الجميع حذوه •  
وعاد فانتصب ، وتساقطت الثلوج فكسته بلون

أبيض ، فأمسى شبها لا انسانا •  
وصلى بصوته ، وصلى بقلبه ، حتى انعكست ندامته  
على رفاقه ، فغرقوا في دموع التوبة ، وغرقوا بعد دقائق في  
مياه البحر •• ولم يبق في قيد الحياة الا الكهل الواقف على  
قدمين ثابتتين !

وارتفعت المياه الى كتفه ، فرفع الزجاجه الى أعلى •  
ومرت دقيقة ، زال على اثرها الكهل ، وزالت  
الزجاجه ، وغاص المركب الى الابد !

مات ثمانية رجال وامرأتان ، وغرق مركب ••  
تلاشت حياة وامحى مجهود ، وتخرمت الحتوف  
تقوسا ضالة غادرة •

ذهب كل شيء ، الا زجاجه طفت على صفحة الماء ،  
وانطلقت مع الموج ، وكأنها تبغي التغلب على العدم !

### مع الموت في تيه

هل سلمت اليابسة من تلك العاصفة ؟ هل كانت  
الطبيعة أرأف بالارض من البحر ؟ هل نجا الغلام ؟  
كان الضباب كثيفا ، والظلام حالكا . وارتعش الغلام ،  
وصرخ . وتخبط في تيه ، كما يتخبط الاعمى في ظلامه !  
ومشى لانه شعر ان الجمود يزيده قنوطا . وتعثر ووقع ،  
وبكى !

مضى الوقت بطيئا متثاقلا ، وانتهى الغلام من الارض  
الوعرة الى ارض منبسطة مترامية ، وتضاعف البرد . ومع  
ذلك فما كل ، بل حث الخطو ، حتى انتهى به السرى الى  
ارض فرشها الجليد بطبقة صلبة .  
واكتشف ممرا ضيقا ، وآثار خطى لامرأة . وتبع الاثر ،  
وانتهى الى مكان أيقن مما وجد فيه انها مرت منذ أقل من  
ساعة . فارتعش أمله ، وتجدد نشاطه .

وتوقف الاثر ، فلم يدر اين اختفت محدثته ، وبينما

هو محتار يتلفت ، اذ به يسمع ركزا خافتا ارتعدت له  
فريسته !

واصاخ ، فلم يسمع الحس ، وهم بمواصلة السرى  
ولكن الحس الخفي سمره ثانية ، وتكرر الصوت ، ولما  
اكتشف الجهة التي انبعث منها ، تقدم وهو يغالب فزعته ،  
حتى انتهى الى بقعة خيل اليه ان الجليد حفر فيها ، وان  
ناووسا قد ادخل في الحفرة • وصدر من الحفرة صوت  
بكاء ، فانكب على وجهه ونبش الثلج ، وطالعه بعد قليل ،  
وجه علته صفرة الموت •

لم يتحرك الوجه ، او تنفتح العينان • وسمع صوت  
بكاء ، فمد يده ولمس الوجه ، ولكن يده ارتدت لانها مست  
الموت •

كانت المرأة بلا حياة في ذلك التيه ! غير ان الحياة  
دبت في مكان قريب • • • وبحث يديه ، حتى اصطدمتا  
بشيء ، فتناوله ، فاذا به انسان - انسان صغير لا يتجاوز  
السنة •

كانت اسمال الطفل تقطر ماء • • • انها اثى مشرفة على  
الموت • • • فضمها بحنان الى صدره على ذلك يصونها  
ويقوها !

كانت ابنة امرأة برح بها الضنك ، فهامت على وجهها ،  
ضاربة في هذا التيه • ولما دهمتها العاصفة ، فتكت بها



وأبقت على طفلتها •

وتحسست الطفلة وجهه بشفتيها الباردتين كأنه ثدي  
امها • فأخافته برودتهما ، فخلع سترته ولف بها الطفلة ، ثم  
ابتعد عن الجثة ، ومشى مسرعا ، وجسده العاري يرتعد •  
وبالرغم من وهنه ، فقد تسك بالطفلة ، وبذل طاقته  
ليتغلب على الطبيعة الشرسة ••

فلو كان ابن نعمة وترف لعجز عن تحمل تلك الآلام  
الهائلة ، ولما قبل ان يصل الى المرأة فينقذ ابنتها •  
صبر الغلام أنقذه ، صبره حثه على الكفاح •• فمضى  
الى الامام ، يقع فينهض ، ولا يكاد ينهض حتى يقع !  
ولاح له بغتة بصيص خافت ، فانتعشت آماله ، واقترب  
من النور ، فشاهد من بعيد بضعة منازل ، وشاهد شارعاً  
ممتدا •

وعرج على بيت كبير ، فطرق الباب وأعاد الطرق ، فلم  
يستجب أحد • فتحول الى بيت أصغر ، وكرر المحاولة ،  
فأخفق ، لقد نام اصحاب البيتين ، نام الغني الى جوار  
الفقير ••

هل نام اصحاب البيتين حقيقة ، او هل أناخ عليهم  
شبح الموت ؟ ؟

أهي مقبرة عامة أم بيوت مقبرة ؟

ماذا جرى ؟ هل انقلبت الدنيا الى قفر ياب ؟ وهل

تلاشت الحياة ؟ ماذا جرى ؟ ولم لا يستجيب الناس ؟ أهو  
الطاعون ؟

أجل . . انه الوباء الاسود الذي لا يقي ولا يذر !  
الطاعون الذي جعل كل امرئ يحضن بابه .

وتنقل الغلام بين البيوت دون جدوى ، حتى أرهقه  
الهم فبكى بكاء مرا . وتساءل وهو يكفكف عبراته عن  
سبب هذا الصمت والاعراض . . .

وعضته أنياب الجوع ، فأن من اليأس ، وضم اليه  
الطفلة فقبلها وغسل وجهها بدموعه .  
وصح سماعه صوت مخيف ينذر بالخطر !

### هومو وارسوس الفيلسوف

ما هذا الصوت ؟ أدممة ؟ أزمجرة ؟ أطحن انسان ؟  
لو كان رجلا لفر خوفا • ولكنه صغير ، رأى في ليلة ما  
استل من قلبه شعور الخوف ، لانه رأى الموت !

واستمرت الزمجرة ، ولكنه تقدم • • فثمة كائن  
مستيقظ ، وبدت له بعد لحظات مركبة عظيمة ، تعلوها  
غرفة مصنوعة من خشب • وقد ركب فوقها داخون • كما  
شاهد بابا ونورا ينبعث من نافذة •

وتقدم من المركبة ، فاشتد صوت الزمجرة ، فلم يأبه  
لذلك ، وخيل اليه ان الوحش مشدود بسلسلة • • ثم تألقت  
عينان فاريتان ، ولمعت أنياب حادة ، ولم يشك في انها  
مصيصة ، او حظيرة وحوش يستغلها صاحبها في شؤون  
العرض والتسلية •

وارتفع صوت يزجر الحيوان ، ويقول : « اصمت ،  
اصمت يا هومو » •

وصمت الصوت ، ثم انبعث ثانية يقول : « من هنا ؟ » •

فأجابه الغلام : « انسان يطلب الامان ! » •

قال : « ومن تكون ؟ » •

« أنا .. أنا .. » •

« أنا ؟ عجباً ! اسمع صوت فتى ، فمن أنت ؟ » •

« غلام ضائع ينشد الراحة بعد العناء » •

« افني مثل هذه الساعة يجيئنا غلام ؟ » •

« غلام هراء البرد ! » •

« ولم التجوال في هذا الهزيع ؟ » •

« أكاد أموت جوعاً ! » •

« اغرب عن وجهي ! » •

واختفى الضوء ، واخنى الغلام العاثر الحظ رأسه

وبكى • ثم ضم اليه الطفلة ومشى متعثراً ..

وفتح باب المركبة ، وتدلّى منه سلم ، وهتف صوت

خشن : « تبا لك ! ادخل .. ادخل .. » •

ووقف الغلام غير مصدق ، وتناهى اليه الصوت

الاجش يقول في تبرم : « ادخل ويحك ! انت جائع .. افت

منهوك .. انت مبرود .. فمن دهاني بك ؟؟ » •

لم يتحرك الغلام من مكانه • وأردف الصوت مهددا :

« ألا تصعد ؟! ألا تمثّل ؟! » •

وهم الغلام بالسلم يزعم ان يرقاه ، ولكنه تراجع  
مندعرا .. فقد هدر صوت الوحش !

وصاح الرجل رادعا : « كفى يا هومو ! » •  
واختفت الانياب ، واستتلى الرجل : « لا تسرع ..  
اصعد ! » •

ورقي الغلام السلم ، ولما أشرف على مدخل المركبة ،  
وقف متأملا ، فرأى موقدا يؤج ، وفوقه وعاء ينفث البخار •  
ورأى في الداخل مقعدا وصندوقا أو قنديلا غير  
مستعمل ، وخزانة صفت على رفوفها أوان وقنينات وأنايب ،  
وكانت تستعمل للتحضيرات الكيميائية •

كانت العربة أشبه بصندوق ضخم يضاوي ، وقد  
خط عليها بالحرف العريض :  
« ارسوس .. من الفلاسفة » •



وقف الفيلسوف ارسوس في ركن من المركبة ، وكان  
مديد القامة ، نحىلا ، وخط الشيب رأسه ، وتغضن جبينه •  
أرسوس فيلسوف في طريقته وفي حياته ، لانه فيهما  
يختلف عن سائر البشر .. فمن غيره يعيش في مركبة  
متجولة ؟ ويستأنس بصحبة ذئب ؟ فالذئب هومو كان أليفه  
وعشيرته ورفيقه في حله وترحاله !

كان هومو أمينا له كالكلب ، وحارسا شديد البأس ،  
وقد قضى أرسوس السنين في مركبته ، يتنقل من قرية الى  
قرية ، ومن مدينة الى مدينة ، فيبيع للاهلين عقايره ،  
ويعرض عليهم حركات مدهشة يؤديها الذئب هومو .

وارسوس رجل كامل ، متبحر في علم الانسان ،  
متعمق في خلجات الانسان ونزعاته .. أرسوس طبيب  
ومشعوذ وكاتب وحكيم وفيلسوف وشاعر !

ارسوس كل شيء - فهو عظيم في شخصه وتفكيره  
وانسانيته .. الا انه لا يعترف لنفسه بفضل .

هو متهمك بارع النكتة ، يسخر حينما يجد ، ويقلد  
الحيوان والطيور ، ويتكلم فلا تتحرك شفثاه ، ويخرج صوته  
الجهير ، فلا تعلم من نطق !

آثر حياة العزلة ، واصطفى الذئب وعاشا معا في سلام  
وانسجام !

وهومو ذئب .. ولكنه ذئب فيلسوف .. فهو قانع  
مكتف .. وهو متفاهم مع مولاه بالعين وحاسة السمع  
والشم .. فهو فيلسوف كما قلنا ، وفلسفته مبنية على  
الجواس فحسب ...

وقال الفيلسوف للغلام : « ألق ما في يدك ! »  
وصدع الغلام ، فوضع حمله برفق على صندوق صغير  
ورأى الشيخ في حركته حرصا لا موجب له ، فقال ساخرا :

« أخائف أنت على كنزك ؟ ويليك ! انه اسمال وخرق !  
قل ، قل ، من أنت ؟ تكلم .. لا ، بل اصمت واقرب من  
النار ، فأنت مقرر ! » •

ووضع الشيخ يده على ذراعه وشده قليلا ، فتناثر  
قميصه ، فصاح : « يا لك من تاعس ! خذ .. خذ .. » •  
ورفع يده الى السقف ، فتناول قميصا وسروالا ،  
وتابع في لهجة الأمر : « هاء ملابس ، تلفع بها ! » •

ولم يكتف ارسوس ، بل أخذ الغلام بين يديه ، ومرر  
راحتيه بقوة على جسده ، الى ان تدفق الدم دافئا في ذلك  
الجسد الضامر • وما لبث الشيخ ان أشار الى مقعد متداع ،  
فجلس الغلام عليه ، وقال الشيخ :

« كل ! أنت طاو .. كل ما في الاناء انه اللحم  
والخضار ! » •

ومد الغلام يده ، ثم ارجعها • وزمجر الفيلسوف  
وصاح : « أراك تنتظر مني أن ألقمك ! كل أيها الشرير ! » •  
وازدرد الغلام طعامه ، فقد فرى الجوع حشاشته ،  
ونسي كل شيء ، فابتلع الخبز واللحم والخضار ، ولم ينتبه  
لصوت البكاء !

وذهل ارسوس ، فقال وهو يحدج الغلام : « ولم  
البكاء ؟ » •

ولكنه سرعان ما أدرك ان البكاء لم يصدر عن الغلام ؟

فتحرك من مكانه ، وانحنى فوق الصندوق ، ثم رفع اللقافة وهو مبهور !

وقال : « هذا هو الشيء الذي يبكي ! الويل لك أيها الشرير ! لقد ارتكبت منكرا ! أنت تلتهم طعامي ، وطفلتك تسلبني حليبي ! » •

وأسرع فجلب قطعة قماش ، وجاء بزجاجة ، فملأها حليباً ، بعد أن ربط فوهتها بقطعة القماش ، ثم نزع عنها أسماها ، ولفها بملاءة ، ولما اطمأن السى نظافة الحليب والطفلة ، رفع قطعة القماش ، واسقط في الزجاجة خيطاً ، ووضع طرفه في فم الطفلة •

وكفت الطفلة عن البكاء ، وجعلت تمتص الحليب بشراهة •

وتتبع الغلام حركتها وقد ابرقت أساريره ، واختلس إلى ارسوس نظرات الشكر ، ورمقه باحترام • ولكن الشيخ قال بغتة :

« ماذا دهاك ؟ ألا تأكل ؟ » •

فأجابه وهو يجهش : « كلا ، لا أريد ، فأنت لم تطعم ! » •

قال : « وما شأنك بي ؟ كل ما في الاناء ! » •

ولكن الغلام تردد ، فصاح به وزجره •

وامثل الغلام ، فأفرغ ما في الاناء باقبال وشغف !



وامتصت الطفلة الحليب ، فابتسم أرسوس مسرورا ،  
واحضر حشوة من قطن ، وألقاها على الصندوق ، ووضع  
الطفلة فوقها ، فنامت •

ودنا من الغلام ، فربت كتفه وهو يقول :  
« ملأت معدتك ، والآن هيا تتجاذب بعض الحديث »  
وهز الغلام رأسه وأنصت •

وقال أرسوس : « أين كنت ؟ ومن أين أتيت ؟ »  
فأجابه : « لا أدري ! » •

« أتسخر بي ؟ من أين أتيت ؟ »  
« لا أدري •• غادروني على الشاطئ وأبحروا ! » •  
« من هم ذووك ؟ » •

« لا أعرف لي أبا أو أما أو أخوة ! » •  
« والطفلة أيها الكاذب ؟ أليست أختك ؟ » •  
« كلا ، ليست أختي ! » •

« من أين جئت بها ؟ » •  
« وجدتها وأنا أتخط في التيه ! » •  
« كيف واين ؟ » •

« كانت تبكي وهي متشبثة بصدر أمها الميتة ! » •  
« منذ متى ؟ » •

« منذ ساعة ، وفي مكان يبعد ميلا » •  
أطرق ارسوس مفكرا ، وقال وكأنه يناجي نفسه :

« الموت راحة أبدية ، فلترقد حيث هي هذه الام الشقية ؟ » •

وعند بعد ذلك الى دثار ألقاه على الطفلة ، وأمر  
الغلام ان يرقد قريبا منها ، ولم يعتم ان ربط وسطه بسيور  
من الجلد تتصل به جعبة فيها زجاجات مليئة بالعقاقير  
والآلات ، ورفع المصباح من مكانه وغادر المركبة •

ونادى على الذئب ، فوثب الوحش وهو يزجر ،  
فقال : « اصمت يا هومو ! » •

ثم رفع صوته متسائلا : « وأنت أيها الغلام ، هل  
نمت ؟ » •

فأجابه : « كلا • • لم أنم بعد » •  
« لا تنس ان تقدم بقية الحليب للطفلة ان استيقظت  
باكية » •

وابتعد أرسوس وهومو ، وغفا الغلام ، ورقص ملاك  
الظهر فوق رأسي طفلين بريئين ، وكان القدر في تلك الليلة  
يحوك خيوط أيامهما !



هب الغلام من رقاده ، فتلفت مبهوتا لا يكاد يصدق  
عينيه • وسمع بغتة صرير المفتاح ، ودخل ارسوس والذئب  
وكان الفيلسوف يتمم بصوت متقطع : « لقد اراحها  
الموت ! انها متخشبة ، وكأنها الموت بعينه ! »

ونكت النار بقضيب من حديد واستأف كلامه :  
« لولا هومو ، لما وجدتها ، كانت جثتها باردة متجمدة ..  
ويدها ، ظننتها قطعة من الجليد .. كيف ترضى بالموت  
ومعها مثل هذه الرضيعة ؟ »

وضحك الفيلسوف ، واردف : « أصبحت رب عائلة  
.. بيتي صغير ، ولكننا سنتدبر امورنا ! »

وكان هومو خلال ذلك يلحق يد الطفلة ، وكأنه ام  
رؤوم ، فقال ارسوس : « سقيا لك يا هومو ! أصبحت  
عما ، كما أصبحت انا أبا ! »

واثنى ينظر الى الغلام ، وقال وهو يصرف بأسنانه :  
« ويلك أيها الصبي ! لماذا تضحك ؟ »

فقال الغلام وهو يرتعش : « انني لا أضحك ! »  
واختلجت اهداب الرجل ، وقال بلسان متلعثم :  
« انت مخيف ... انت مسكين ! »

ثم خطا نحوه فأمسك به ، وعاد فقال : « لا تضحك ..  
لا تضحك .. »

فأجابه الغلام وهو يشرق بدمعه : « انني لا أضحك ! »  
وسرت قشعريرة مثلوجة في ظهر أرسوس ، وأصابه  
انفعال شديد ، وقال بصوت متهدج : « انت تضحك ، فلا  
تكذب ! »

ولطمه ، ثم قال مسترضيا : «من انزل بك هذه  
الكارثة ؟»

« ماذا تعني ؟ »

« متى بدأت تضحك ضحكك الابدية ؟ »

« لا اذكر نفسي خلافا لما انا عليه » .

فأشاح الفيلسوف عنه بوجهه وهو يتمتم بصوت  
يسيل رقة وألما : « قبحا للانسان ! لن يتورع عن فظائعه !  
ابق يا غلام كما انت .. اضحك ما شاء لك الضحك ! »

واستمر الغلام يضحك ... في الليل والنهار .  
وتنبهت الطفلة ، وارتفع صوت بكائها ، فأهرع اليها  
ارسوس بالحليب .

وبزغت الشمس على العائلة الجديدة - على الاب  
ارسوس ، والعم هومو ، والغلام الضاحك ... والطفلة ..  
الطفلة التي فتحت عينيها ، فلم تبصر بهما !  
وصرخ الغلام ملتاغا : « اواه ! »  
وعقب ارسوس : « انها عمياء .. عمياء .. يا للشقية ! »

### اللورد كلانشار

لكل عصر رجال • عاش في ذلك الحين وقبله وبعده  
نبلاء سطوروا تاريخ البلاد بأفعالهم ، وعينوا الاتجاه الذي  
تنهجه •

فاللورد كلانشار تحمس للجمهورية التي انشأها  
كرومويل على أنقاض الملكية • بيد انه لم يكتب لها طول  
العمر ، فزالت واسترجع الملك سلطته • الا ان اللورد  
كلانشار تشبث بعقيدته ، وابى ان يتملق الملك ، وارتحل  
عن انكلترا واقام في قصر قديم في جنيف •

من جراء ذلك صادرت الحكومة امواله ، ومع ذلك  
فلم يتراجع عن موقفه استرضاء للملك شارل الثاني •  
وبلغ الرجل من العمر أربعه • وكان قد اتخذ له خليفة  
ابن الشاب تنتمي الى الطبقة المترفة • وأنجب منها ابنا ،  
كان مولده في يوم انهزام الجمهورية وارتحال اللورد الى  
منفاه •

كانت الخليفة من الصفوة كما ذكرنا ، لهذا بقي البلاط  
مباحا لها • وكانت جميلة فاتنة ، عرفت كيف تفسح لابنها  
المجال في معترك الحياة •

وأحبها الملك ، فاتخذها محظية له ، وجبا ابنها النفل  
بأحسناته ، فأصبح ضابطا في بحرية جلالته ، واحد افراد  
الحاشية الملازمة للملك • وقد اطلق عليه اسم اللورد ديفيد  
موير ، فتناسى الناس انه ابن الزناء ، واعتبروه من النبلاء •  
وكان أبوه يقاسي شظف العيش في منفاه ، وقد هرم  
واصابه الوهن •

واعتلى العرش الملك جيمس الثاني ، فنال اللورد  
ديفيد حظوة كبرى لديه • • ولن نغفط الشاب حقه ، فهو  
وسيم وشجاع ، وهو خفيف الظل قريب الى القلب • وهو  
الى جانب هذا كان بارعا يتلمس طريقه في حذر وتريث •

احبه الملك ، واصطفاه صديقا ورفيقا ، وأسبغ عليه  
المال والعقار ، واسند اليه منصبا رفيعا في القصر ، وثمد له  
طريق الوصول الى مجلس اللوردات •

غير ان العقبات كانت تحول بينه وبين هذا المجلس ،  
فلكي ينتخب رجل عضوا ، لا مندوحة له من ان يكون  
عريقا متحدرا من أب نبيل وجد نبيل ، ومن ان يكون  
صاحب ضياع ، وصاحب لقب ورثه عن أبيه •

واللورد ديفيد اكتسب اللقب اكتسابا ممالة من الملك

لأمه • وتواترت بعد حين الشائعات عن موت اللورد  
كلانشار ، وانه اقترن بامرأة تسمى آن برادشو قبل وفاته ،  
وانجب منها طفلا •

وطمس الملك جيمس هذه الشائعة ، ثم اصدر امرا  
ملكيا يخطلها ، ويسجل في قيود مجلس اللوردات ان الرجل  
قضى نجه دون ان يعقب وارثا شرعيا ، وان اللورد ديفيد  
هو وارث ابيه الوحيد ، ولا يحق لغيره ان يحمل اللقب  
ويستولي على التركة ، شرط ان يتزوج بفتاة كانت في تلك  
الايام طفلة احاطها الملك بكل ضروب الحب ، ووهبها لقب  
الدوقة جوشيانا •

ولكن ديفيد أحجم عن الزواج • واكتهل ونيف على  
الاربعين ، وناهزت الدوقة جوشيانا الرابعة والعشرين في  
سنة ١٧٠٥ ، ومع ذلك لم يقرنا • وبقي الشرط قائما ،  
وبقيت الكلمة النهائية محتارة غير مستقرة !

لم يكن اخلاهما بارادة الملك تفورا متبادلا • بل ان  
رغبتهما عن الزواج كانت وليدة أمل جياش في صدر الفتاة  
في الاحتفاظ بحريتها ، وتهافت ديفيد على المتعة ، وخوفه  
من الحرمان ان هو تقيد بأغلال الزواج •

والعجيب انهما تراضيا على اتباع هذه الحياة المستقلة ،  
وان كانت عرى الصداقة تشج القلبين برباط وثيق • كانت  
الفتاة ذات رواء • مذهب الضفائر ، مليحة القسّمات ،

مشوقة ملتبهة الذكاء ، معتدة معتزة متعجرفة •  
كانت خليطا متناقضا من المشاعر ، وكانت لغزا  
غامضا •

أما ديفيد ، فكان من أقطاب المجتمع ، لبق ، أنيق ،  
يحب الميسر والرقص والقنص والملاكمة •• وكان محترما  
موثوقا برأيه ، ترجح كلمته كفة على كفة •

وله أيضا علاوة على هواياته الكثيرة ميل خاص الى  
الحيل التي يجريها المشعوذون ، ويؤديها المهرجون • وكان  
يرود تلك الامكنة متنكرا ، ويستزج بكل طبقة ، حتى عرفه  
الكثيرون بالبحار الطيب ، لانه كثيرا ما كان يظهر بينهم فسي  
لباس بحار • وكذلك اطلقوا عليه اسم طوم جيم جاك ، حتى  
اشتهر بهذا الاسم ، كما اشتهر بقوته وبسالته •

وعرفت الدوقة جوشيانا اخباره ، فلم تلمه ، بل سرها  
ذلك منه ، واعجبت بشخصه وعاداته !



مات الملك جيمس وخلفه على العرش الملكة أنا •  
وكانت في البدء لا تضم بين جوانحها الا الطيبة وحب  
الناس • غير ان الحكم سلبها رحابة صدرها ، فأضحت بعد  
سنة متقلبة ، ثور وتهيج لادنى سبب •• وشاب طيتها  
شوائب من الشر وحب الازى •



كانت انسانا لين العريكة لا تستطيع التحكم بارادتها  
اذا دخلت عوامل اخرى في حياتها .. ولهذا فقدت عادات  
وتطبعات بعادات بعد ان تسنمت الذروة واعتلت العرش ..  
وسرعان ما مالت بعاطفتها الى الناحية التي تجري مع نزغ  
الشیطان .. فارتاحت نفسها الى الكوارث والمصائب ،  
وكانت تنزع الى السخرية والعبث والفكاهة العنيفة .

كانت بعيدة عن الجمال ، عكر جمال الغير حياتها ،  
وأرث نار غيرتها .. وقد نغمت على الدوقة جوشيانا لانها  
فاتنة تخب الالباب .. والسبب الالهم في حقدها، هو انهما  
كائنا في الواقع شقيقتين ، الا ان البون كان شاسعا بينهما ،  
فهي ملكة ، ولكنها ملكة لا يرتاح لمرآها النظر ! وتلك  
دوقة ، ولكنها مطمع كل سمع وبصر !

### الجباسوس

الفضول غريزة وطبع ! وكل انسان يرغب في حيازة  
ما يجد الى حيازته سييلا .

فالدوقة جوشيانا ، مع احتقارها لعاطفة الحب ، كانت  
ترى في اللورد ديفيد حقا لها دون سواها . كانت تعتبره  
رجلا مملوكا لا ينبغي على غيرها من النساء ان تحظى منه  
بطائل ، ولهذا لجأت الى رجل حقير يدعى باركفيلد ، فأمرته  
ان يرصد حركات اللورد . ومن قاحية اخرى علق اللورد  
يتتبع افعال الدوقة بحقير من الرجال ويدعي « باركفيلد ! »  
ولم تأنف الملكة من التجسس على الاثنين بواسطة  
جاسوس يدعى باركفيلد !

فباركفيلد رجل في ثلاثة ، باركفيلد مثلث ، باركفيلد  
ثلاثة أجزاء تتعارض وتتنازع . . ومع ذلك فهي مندمجة  
كلها في باركفيلد جاسوس الملكة ، والدوقة ، واللورد !  
خلق في محيط فاسد وضيع ، وحاول ان يكتسب

احترام الناس بخبئه ، ففضل ، وتألب عليه البؤس والفاقة ،  
غير أن ضنك الحياة ، والحرمان ، لم يؤثر فيه ، بل واصل  
الكفاح وتقدم ببطء • وأشرأب بعنقه الى الطبقات العليا من  
الشعب ، حيث المال وفير ، والجاه له ظل ظليل •

وتشمم الناس ذلك انصعيد المرتفع من المجتمع ، كما  
يتشمم الكلب قطع اللحم ليتعرف على أشهاها ، وما لبث  
ان اتخذ له هدفا في الدوقة جوشيانا • • وما زال يتمسح  
باعتابها ، حتى شعرت به الدوقة ، فأخذت يده ، وقدمته الى  
اللورد ديفيد ، ثم درجته في عداد خدمها •

وقرت عين الماكر ، وامتلأت معدته • بيد انه لم يكتف ،  
فهو طموح ! ولما استتب به المقام في قصر الدوقة ومع  
حاشيتها ، تذرع يوما بحجة تفتت عنها قريحته ، والتبس  
مقابلة سيده الدوقة •

فلما وجد نفسه في حضرتها قال وهو يحني هامته :  
« انا يا مولاتي راغب في العمل ، وابتهل ان تشمليني  
بمساعدتك فتؤمني لي وظيفة ! »

فقالت متهمكة : « وظيفة لك ! »

« اجل يا مولاتي » •

« أنت أخرق ، لاني عجمت عودك » •

« لهذا قصدتك بخضوع ! »

« واي عمل تفضل ؟ »

« وظيفة خطيرة ، لا مثيل لها •• فاتح قنينات البحر » •  
« ويحك ايها المهرج ! أضحككتني ! »  
« كلا ، أنا لا افكه ! »

« لم هذا الكلام اذا ؟ سأخذك بحلمي ، ماذا تريد ؟ »  
« وظيفة فاتح قنينات البحر ! »

• « حذار ، فأنا غضوبة أبطش بمن يهزأ » •  
« ثقي اني ابعد ما يكون عن الهذر » •  
« أيجاد هكذا وظيفة ؟ »

• « انها موجودة يا مولاتي » •  
« انت كاذب •• أعد كلماتك ! »  
• « وظيفة فاتح قنينات البحر » •  
« اذا وجدت ، فهي تناسبك ! »

واطرق باركفيلد وهو يتكلف الغوص في الفكر ، وما  
عتم ان قال :

« ما أكثر اسرار البحر ، والحكومة حريصة على الظفر  
بكل ما يلفظه البحر ، لان فيه امورا خطيرة • قد يرسل  
صاحب سفينة خبرا ، وهو يرى مركبه يتمزق » •

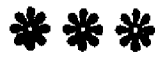
« أحقا ما تقول ؟ وهل هناك فعلا مثل هذه الوظيفة ؟ »

« نعم ، في بحرية الملك ، وتناط برجل يعتبر ضابطا » •

« وظيفته اذا فتح القناني ! فكم عددها • كثيرة ؟ »

« كلا •• والرجل الذي يحظى بها يمنح بيتا وراتبا »

مقداره مئة جنيه في السنة » •  
« تبا لك ، أأتوسط في امر تافه ؟ »  
« المئة جنيه بالنسبة لي ثروة ! »  
« ما دامت هذه نظرتك ، فثق انك نائلها ! »



برّت الدوقة بوعدنها ، وعين باركفيلد في الوظيفة •  
الا ان اللئيم لا يعترف بفضل •• وكان من اللئام •• وكان  
يوم تسلم الوظيفة على موعد مع الشيطان •• فهو ما كاد  
ينال وطره ، حتى وطن النفس على الكيد للمحسنة اليه !  
كانت الوظيفة ذات خطورة ، فانكلترا بلاد تعيش على  
الملاحة وتحيا من البحر ، وهي لذلك تعباً كثيراً بالسفن ،  
وتتبع اخبارها ، وتتقصى حوادثها • وكانت البحرية تفرض  
رقابة دقيقة على الشواطىء ، وكانت تجمع القناني التي  
يقذف بها الموج •• وكان الشخص المنوط به هذا العمل  
مفروضاً فيه ان يكون أميناً لبلاده وامته •• كان يفض  
اختامها ، ويقرأ ما فيها ، ثم يوجهها الى المعنيين •  
وكانت المعلومات مختلفة ، فهي تارة تصف تمردا ،  
وتارة تنبىء عن اصطدام وغرق ، وتارة تالسه تحدث عن  
رياح عاصفة ونوء هائل •  
وقد شاعت هذه العادة ، لهذا كان متقلد الوظيفة

محترما ، خلافا لما ادخله باركفيلد في روع الدوقة ! .. فهو  
يستحق الاحترام ويلج القصر الملكي ، ويتصل بالوزراء ..  
حتى الملك والملكة يستطيع ان يخترق الحصار المضروب  
حولهما !

فالقنينات كانت تحمل فيما تحمل ، وصايا الرجال  
الكبار ، او اوصاف جرائم هائلة ، او اعترافات خطيرة  
بأسرار غامضة ، او اخبارا صادقة عن أشخاص يظهرون ما  
ما لا يخفون ، ويظنون ما لا يبينون .

بالتوسل والضراعة توصل باركفيلد الى شق طريقه ،  
واستطاع ان يتصل بالملكة نفسها . وباتصاله هذا دان له  
التوفيق ، وغدا قادرا على الايذاء ! فهو لا يحب المال مقدار  
حبه للايذاء .. انسان شيطان .. او عميل للشيطان ، ذلك  
يشير وهذا يصدع وينفذ !

لقد رسمه اللؤم بميسمه ، والحقه بعلامته ، فكان  
اصفر اللون ، غائر العينين ، خسيسا وضيعا !

ما عثم ان تغفل في البلاط ، وعرف أصحاب الالقاب !  
والجاسوسية أمضى سلاح في يد الخسيس ، ولها  
شأن كبير في كل بلاط ، وبين كل حاشية !

وكانت الملكة تحيط نفسها بعدد من الجواسيس ،  
حتى تطلع على اخبار حاشيتها ، واسرارهم ، وما يفعلون !  
وسرعان ما اضحى من جواسيسها ، فجعلت تكل اليه

أخطر المهام .. وقرت عين الجاسوس ، فنشط يحسوك  
الدسائس ، ويدبر المكائد .. ووجه سهمه السام الى  
الدوقة ، ثم الى اللورد !

لم يذخر وسعا في استنباط الوسائل لضرب هذه  
المرأة التي أحسنت اليه ، في صميم قلبها ، وتسرّخ جبينها  
المرتفع شهما وكبرياء .

الا انها لم تحسب له حسابا ، او تشتبه بخبث نواياه ،  
فهي تحتقره وتعتبره مخلوقا فسلا وضيعا .

وضاعف تجاهلها له من مرارته ، فوضع نصب عينيه  
التعجيل في طعنها وسحقها !

كانت الملكة تغار من شقيقتها الدوقة واكتشف  
الجاسوس ما طابت له نفسه ، وأيقن ان في غيرة الملكة  
ينطوي سر النجاح .. وعلم انه باثارة حفيظة الملكة يفوز  
بضالته .

واتفق في حلبة السباق ان مر اللورد ديفيد على  
جواده ، فرأته الملكة ، ورآه باركفيلد ، ولغظ الناس وقالوا :

« ما أروع الفارس ! » .

وقالت الملكة على مسمع من باركفيلد :

« لمشد ما أستثقله ! » .

وشده باركفيلد ، ولكنه سر في قرارة نفسه ، فقد  
عرف ما جهله .. علم ان الملكة تغار من شقيقتها ، وتأحسن

على اللورد ديفيد لانه صديق شقيقتها الحميم . وأيقن انه  
يستطيع ان يوجه ضربته القاضية على الدوقة .  
فكيف ترى ينتقم ؟ ومم ترى ينتقم ؟  
يا للانسان !



كان اللورد ديفيد خطيب الدوقة . . فالكل يعرف من  
أمر الوصية ما يعرفه ديفيد والدوقة . ولكنهما لم يستجيبا  
لرغبة الموصي ، فيتزوجا ، وان كانا يجتمعان ويقضيان  
ساعات في المتعة والمجون ، وفي دور التمثيل ، وملاعب  
الرياضة .

وذهبا في ليلة ماطرة الى دار كبيرة لمشاهدة حفلة  
ملاكمة ، وترأس الحفلة احد اللوردات ، بينما عين أربعة  
محكمين مشهود لهم بالكفاءة والنزاهة . كان الملاكمان  
ارلندا واسكتلندا . .

كان الاسكتلندي في أول العمر ، وقد برزت عضلاته ،  
ودلت خطواته على قوة وصلابة . وفي الوقت ذاته كان  
الارلندي كهلا مفرطا في الطول ، بدين الجسم ، مما اقنع  
الجمهور بأن الاسكتلندي قاهره لا محالة بضربة ساحقة .  
اشتد البرد في تلك الليلة . وكان الملعب مكشوبا .  
وأعطيت الإشارة فتقدم الخصمان من بعضهما البعض



فتصافحا .. وما عتبا ان اشتبكا في قتال شرس .

وحمي وطيس القتال ، وانقض الاسكتلندي على  
خصمه ، ولكمه بقسوة ، لكمة تفجر من شدتها الدم ،  
وطاشت سهام الارلندي ، ولوح يديه في الهواء ، ولكم  
القضاء ، وكأنه يفوض أمر اصابة خصمه الى القضاء !

ودار الاسكتلندي دورة نمر وسدد لخصمه لكمة  
هائلة ترنح هذا على أثرها وسقط .. ولكنه نهض بعد  
لحظات .. ودوى الجرس ايذانا باستراحة قصيرة .

واستأنف البطلان الملاكمة ، وتناول الاسكتلندي  
رأس خصمه بين يديه ، كما يتناول الانسان بطيخة ، وأهوى  
على فكه لكما ولطما !

وتخلص الرجل بعد لأي ، ورفع الى النظارة وجهها  
داميا ، وتنحنح فسقط من فمه أربع أسنان !

حان ميعاد الجولة الاخيرة ، فتلاحما .. وفي لمحة  
خاطفة شاهد الناس المتلاكمين يسقطان معا .. ولكنهم بهتوا  
ساعة رأوا الكهل يعود الى الوقوف ، بينما انطرح الشاب  
دون حراك . لقد انتهز الكهل الفرصة ، فضربه ضربة  
ممنوعة !

وصفق الجميع .. لقد انتصر المغلوب على خصمه !  
وحمل الشاب بسرعة الى الخارج ، وخرج اللورد ديفيد مع  
الدوقة جوشيانا .

وقالت الدوقة وهما في الطريق : « كانت مباراة ممتعة،  
لولا ... » •

• فقطاعها قائلًا : « لولا ماذا ؟ » •

• « لولا، انها زادت من انقباضي ! » •

تريث اللورد ، ثم هز رأسه وأجاب : « عندي علاج  
لك ، فانعمي بالا » •

• « وما هو ؟ » •

• « جونبلان ! » •

• « جونبلان ؟ » •

• « أجل .. أجل .. جونبلان ! » •

## جونبلان

وجه عجيب ! شذوذ مفرط في أمائر افسان ! فم يمتد  
من الاذن الى الاذن .. اذنان متصلتان بعينيه .. اتف  
مفرطح مضغوط داخل الوجه !

تقاطيع تضحك من لا يضحك .  
فهل أوجده الله بهذه السحنة المشدودة الممدودة  
المضغوطة ؟

أخلقه الله مشوها ، أم تفننت يد انسان في تغيير  
المعالم ، وتبديل الامائر ، ومسح الوجه طولا وعرضا ؟  
أجل .. لقد تناولته يد انسان بالتشويه ، فمزق القسم  
وضوعف اتساعه .. وقطع من الشفتين جزآن ، حتى ظهرت  
اللثة بصورة دائمة ، ومغطت الاذنان .. وداعبت اليد المجرمة  
الجفنين والخدين ، مخرجة من هذا كله مزيجا من التناقض ،  
عرف فيما بعد باسم جونبلان !  
تنقل جونبلان من مكان الى مكان ، فأضحك الحزين ،

وارغم الثاقل على الابتسام !  
ما اكثر ما أضحك ، فهل كان هو يضحك ؟ هل ضحك  
جونبلان ؟ كلا .. كلا .. لم يضحك قط ! كان وجهه  
يضحك ، الا ان قلبه حزن حزن الموت !

مسكين ! اذا دهش ضحك .. واذا خاف ضحك ..  
واذا حزن ضحك .. واذا غضب ضحك .. واذا فرح  
ضحك ..

كان ضحكه الابدی يرسل الرجفة الى القلوب ..  
فالرجال يضحكون ثم يشيحون بوجوههم ، والنساء  
يضحكن ولكن بخوف ظاهر !

مشوه ! وتشويه خلقه رهيب .. أما تكوينه ، فكان  
رجلا بكل ما في الكلمة من معنى — بنية متينة مشوقة ،  
وقوة تتبدى في حركاته ، ويدان كلهما عزيمة وصلابة .

فمن هو جونبلان ؟ من غير الغلام الذي تركته العصابة  
وراءها ، على الشاطئ في خليج بورتلاند ، في تلك الليلة  
المظيرة منذ سنين ، وكان مصيره مجهولا ، مرتبطا بمصير  
أرسوس الفيلسوف ، وذئبه هومو ، والطفلة اليتيمة التي  
التقطها عن صدر أمها ؟

ما وافى عام ١٧٠٥ حتى شب جونبلان عن الطوق  
وأصبح في عنفوان الشباب .

وكان ارسوس قد اعتنى به وبالطفلة ، وكون منهما

بعد مدة ومن ذئبه أيضا فرقة متجولة ، تلعب وتهرج  
وتتقاضى دراهم معدودة من كل متفرج •

وبلغت الطفلة عامها السادس عشر ، واكتمل تكوينها ،  
فاذا بها فتاة جميلة هيفاء ، دعجاء العينين ، ينبثق منهما نور  
عجيب ، ولكنه نور خامد لا يرى ولا يبصر - كانت عمياء !  
لم تخلق عمياء ، بل الزمهرير الذي أودى بأمها ،  
طمس بصرها ، فنشأت عمياء لا تبصر ••

لم تر شيئا ، ولم تر وجهها ، ولا شمسا ولا قمرا ••  
ومع ذلك فقد انبأها حسها ان المشاهد تزخر بها الدنيا ،  
فيراها الناس •• ولهذا نطقت نظرتها بألم دفين وحزن مرير •  
وكان ارسوس أراد ان تمتد فلسفته لكي تتصل  
بسخريته ، فأسمها نورا لعل الفتاة ترى في هذا التناقض  
خير عوض لها ! •• وكان قد سأل الغلام عن اسمه ، ولما  
أخبره انه يعرف باسم جونبلان ، رأى أن يستبقي الغلام هذا  
الاسم •

وتعاون المشوه والعمياء في العمل •• وكان الاندماج  
مأساة وأي مأساة •• كان عنوانا صارخا للظلم والطغيان •  
كان جونبلان عيني نور ، وكانت نور وجه جونبلان !  
وانعدم الامل في محيط حياتهما - فجونبلان يعيش  
بلا وجه ، ونور كانت مكفوفة ••• وهكذا انعدم الامل !  
عاشا بلا أمل ، يكتنفهما شقاء ، ويحيط بهما غناء !

بيد ان الزمان كان يتمخض عن حدث مذهل ، وما عثم  
التمخض ان أسفر عن ميلاد حب !

عاشا بلا أمل ، ولكن آصرة حب شرعت تشج بين  
القلبين ، حتى استحال الشقاء سعادة ، واستحال اليأس أملا  
وعاشا بأمل •

أحبها وأحبته — أحبها حب العابد ، وأحبته حب  
العابدة ! ورنا اليها بعينين جاحظتين ، ومررت أناملها على  
وجهه وهي تقول :

« ما أجملك ! ما أروعك ! » •

« نور ... » •

كان جونبلان يهتف :

« أنا أحبك ... » •

وكانت تجيب : « جونبلان .. ما أسعد قلبي بك ! » •

فهي الانثى الوحيدة التي شعرت بكيانه وقدرته ..  
وقد أنبأها أرسوس بما فعله من أجلها ، وكيف أنقذها •

وحفظت نور له هذا المعروف .. فلولاه لما وجدت ،

بل كان مصيرها الموت والهلاك •

كانت تعتبره المنقذ والمرشد والهادي ، في حين كان

الناس يعتبرونه ضحكا .. فهم لا يستشفون ما في  
الاعماق !

كانت ترتاح اليه وتنعم بحديثه •

قلبان مكلومان مستهما يد الرحمة ، فاتحدا واندمجا ،  
وارتاش هذان القلبان ليطيرا ، وطارا محلقيـن فوق الرؤوس  
بقلبيهما حلقا ، لان فيهما خلق شعور سام نبيل .. وشاهد  
أرسوس التفاعل العجيب ، فقرت عينه .. فهو فيلسوف لم  
يفقد أحاسيس الاب .. وقد أحب الاثنيـن وكلاهما بعنايته !  
لم يستقر بهذه الاسرة الصغيرة مقام ، كانت تتنقل  
سعيـا وراء الرزق ، ولم يعق هذا ارسوس عن تلقين  
جونبلان دروس الحياة ، وفلسفة الحياة •  
كما انه علم نور فن الصوت ، أي فن الغناء بالطريقة  
التي يتطور فيها الصوت من حسن الى أحسن •



سارت المركبة في الطريق الخصبة المفضية الى القرية .  
في ليلة باردة من شتاء ١٧٠٤ ، وكان يجرها جوادان ، وفد  
اكتست باللون الاخضر ، وعرفت بين الاهلين بالمرح  
الاخضر •

كان المراقب يرى في جانبيها كوتين صغيرتين ، وفي  
مؤخرتها بابا متوسط الحجم ، يليه سلم خشبي غير ثابت ،  
ولو رفع المراقب رأسه الى أعلى المركبة لشاهد مدخنة  
سوداء •

كان سائقها رجلا هرما يتوسط امرأتين من العجر ،

منشغلتين بالدق على طبلتين ، ووراء المركبة سار حيوان  
مريب الشكل !

هذه هي مركبة أرسوس ، وقد حالف اصحابها  
النجاح بفضل جونبلان ، فادخلوا عليها التحسينات ،  
وجعلوا منها ملهى متنقلا بين المدن والقرى •

فأرسوس درب الغلام ، ثم أخذ يعرضه على الناس •  
وأحدث بروزه في الامكنة العامة ضجة عظيمة ، حتى أصبح  
ظهوره في مكان ما كافيا لاهراع الناس • وكان الاطفال  
يخافونه ، ولكنهم لم يهربوا منه •

تضاعف دخل أرسوس ، فحفزه الكسب الى مواصلة  
السعي • وتعاقبت الايام ، وزاد الخير ، وتضاعف الدخل ،  
فجدد ارسوس مركبته ، وأضاف ألعابا كثيرة الى ألعابه ،  
وابتاع الجوادين ، واكثرى المراتين •

كانت العجريتان ديمتين ، أطلق أرسوس على الاولى  
اسم فيبي ، وعلى الثانية اسم فينوس ، وكان عملهما قرع  
الطبول ، وخدمة المركبة وتنظيفها •

قسم أرسوس المركبة الى ثلاثة أقسام ، فصل بينها  
بسجف صفيقة • القسم الاول خصص للرجال ، والقسم  
الثاني للنساء ، أما القسم الثالث او الاوسط فقد أفرد  
للمسرح ، وصنع له باب يرتفع وينزل بسلسلة ، ويستعمل  
كمسرح تعرض عليه الجماعة ألعابها • ولو ان المسرح أحيانا



كان يقام في باحة تتوسط البيوت •

اما ارسوس ، فكان مدير التمثيل ، والعاظف ،  
والموجه • وكان بارعا في محاكاة الطير والحيوان في  
أصواتها ، ويتكلم ، فلا تتحرك شفاته •

اما الذئب هومو ، فيتصرف كإنسان ذي عقل وفكر ،  
فيقف في أدب جم ، ويلزم أرسوس حينما يتنكر في اهاب  
دب أبيض •• حتى تعذر على الكثيرين التفرقة بين الإنسان  
والحيوان ، كلما برز الاثنان على المسرح •

ووضع ارسوس فاصلا تمثيلا لجونبلان ونور ، أسماء  
انتصار الانسانية ، وكان المشهد الاول عبارة عن مكان مظلم  
يقف فيه اشباح ثلاثة لإنسان ودب وذئب ، وكان الذئب هو  
هومو ، والدب أرسوس متنكرا ، والإنسان جونبلان •

والدب والذئب هما الوحشان الضاريان ، او الغدر  
والجهل ، وعدوهما اللدود هو الإنسان الذي يركزان عليه  
هجومهما ، فيدافع عن نفسه ، ويستغيث ، فتختلط اصوات  
الاستغاثة بزمجرة الجهل والوحشية •

وتخور قواه ، فينهار وتفتت حركته • وتهدأ الضجة  
المفتعلة وينصت المشاهدون ، وكأن على رؤوسهم الطير •

ويرتفع على حين غرة صوت شجي يغرد ويغني ••  
ويعلو الصوت ، ثم تتقدم نور بوجهها الحلو ، فيستمد  
الإنسان المتهاافت من صوتها قوة تفوق قوته ، فيشب بخفة

ويهاجم الوحشين ويجهز عليهما •  
وتنبعث من جهة ما نار باهرة، فتسقط على الانسان ••  
وترتفع أصوات الضحك حينما يشاهد الجمهور وجهها  
عجيبا مضحكا •• وترن الضحكات في سمع جونبلان كأنها  
مطرقة تدق رأسه •

هكذا عرف جونبلان بالرجل الضاحك •  
على ان معظم النظارة كانوا منن المعوزين ، وكان  
جونبلان يقرأ في وجوههم كلمات البؤس والحرمان •  
ورب متبطل جاء ليزجي وقته ، ورب مشرد جاء  
ليسرق •

ولطالما فكر جونبلان في شقاء الانسان •• كان يفكر  
كثيرا ، وكان قلبه ييكي •• ولكن وجهه كان يضحك الى  
الابد •

وتمنى ان يساعد هؤلاء المملقين ، الا انه كان مملقا ••  
ولهذا اكتفى بالشعور معهم •

وغاب عن باله أنه يساهم في التخفيف عن الفقراء ،  
وفي التفريج عن كرب البؤساء - انه ينتزع الشقاء من  
قلوبهم •• أجل •• انه يضحكهم !

والضحك ترياق •• الضحك أمل •• الضحك ابتعاد  
عن البهيمية •• والاضحاك فن قائم بذاته •



كتب على المركبة بأحرف صغيرة :  
« عجيبة خارقة .. رجل شوّهه المجرمون وهو طفل ،  
وعثر عليه صدفة على شاطئ بورتلاند ... شاهدوا  
جونبلان الرجل الضاحك ، واضحكوا معه حتى الموت ! »  
أجل ... اضحكوا مع جونبلان حتى الموت ...  
وابكوا !

## في لندن

لم يضحكوا في لندن ، لانهم ما رأوا جونبلان !  
تضاعف الاقبال ، وكثر ما جناه أرسوس ، وفتح  
الرجل الفيلسوف عينيه فرأى غنى بعد فاقة .. ولعل الغنى  
نأى به بعض الشيء عن فلسفته وتصوفه •

أرسوس الكهل ، أو الشيخ بعبارة أدق ، جعل  
يبحث عن مزيد من المال بعد نجاح جونبلان ، ولكنه لم  
يجد في القرى ضالته ، وطن النفس على التوجه الى لندن ،  
ففيها ما يصبو اليه •

في ذلك الزمان لم يكن في لندن سوى جسر واحد  
يعرف بجسر لندن ، كان هذا الجسر متصلا بأحدى ضواحي  
العاصمة ، وهي ناحية ساوثوورك • وكانت تمتاز بطرقها  
الضيقة ، ودروبها المختلطة •

وقد خصصت البلدية ميدانا فسيحا هو ميدان ترنزو

للألعاب المسلية ، الى حيث يتوافد الناس لمشاهدة الممثلين  
والمهرجين •

واقام المسؤولون في جهات متعددة حانات كثيرة  
يقصدها طلاب اللهو لاجتماع الكؤوس ، او لتناول الطعام •  
كما اقيم فندق صغير يعرف بفندق تدكستر ، وكان صاحبه  
نيكولس رجلا اشتهر بالخوف من القانون ، فهو يتعد  
طاخته عن المشكلات التي تفتح الباب ليدخل منه رجال  
السلطة •

واستخدم في فندقه خادما يدعى جو ، وهو صبي لا  
يتجاوز الخامسة عشرة ، وقد كلفه سيده بجميع الاعمال ،  
وافرد له وكرا معتما في قبو الفندق لينام فيه • وكان الوكر  
يفضي الى الميدان الكبير •

واتفق في احدى ليالي ١٧٠٥ القارسة الباردة ، ان مرّ  
انسان يتزيا بملابس البحر في ذلك الميدان ، فثريث  
واصاخ •• فقد طرق سمعه صوت رجل يتكلم جهيرا ويحث  
الناس على شيء • وكان يرافق الصوت الجمهوري ويتخلله ،  
اصوات لغط •

اصاخ صاحبنا واستطاع ان يتلقف المعنى ، كان  
الرجل يقول : « ايها الناس ، جئكم ، لانكم اعظم اهل  
الارض طرا •• لانكم شعب يتشوف الابصار الى التهام

غيره .. وهذا عمل جبار ، يشترط بصاحبه ان يكون  
جبارا !

« تفوقتم على سائر الخلق فسي السياسة والكسب  
والتحكم بمصائر الشعوب ، والتفنن في سلب هذه  
الشعوب .. ولست قاصدا القدح فيكم يا اهل لندن ، بل  
استهدف مدحكم واعلاء شأنكم .

« انني حيوان ، بل وحش ! انني دب لا يقول الا ما  
يشعر به ، ولهذا أمجدكم واطريكم !

« انا دب ، ولكن حكمتي فائقة ، فأنا طيب .. أجل  
طيب ! وانا فيلسوف أعلم الحكمة ، ولكن ، هل أعلم  
حقيقة ما أعلمه للناس ؟ لا ادري !

« أنا طيب وفيلسوف ، ابيع دوائي بأبخس الاثمان ،  
وابيع افكاري بلا اثمان ، فانصتوا وارهبوا السمع ..  
انظروا مليا الى وجهي والى مسرحي ، سترون مخلوقا  
مدهشا يضحك من لا يضحك .. ستضحكون وستبكون ..  
ستفكرون ، وستستغرقون في الفكر متى كلمتكم !

« والآن ، سأعرض عليكم أعضاء فرقتي ... نحن  
أربعة .. اتفقنا فيما بيننا ان نلاشي شجونكم ، ونزيل  
همومكم !

« نحن أربعة ، اولنا ذئب مخلص ، يفهم اكثر منكم ،  
ويعلم ما لا تعلمون ، ويفلسف كما لا تفلسفون .. وهو

محتشم ، رزين ، متواضع .. هو كريم يجهل مغلب يده  
اليمنى ما وجود به مغلب يده اليسرى .

« الثاني ، انسان شقّ فمه من الاذن الى الاذن .  
انسان غدر به الانسان ، ولكنه ترعرع ليغدو نقطة تحول  
بين الفرح والترح ، والضحك والبكاء !

« الثالث ، فتاة هيفاء غدر بها الدهر فسلبها نعمة  
النظر .. ولكنها رغم احتجاب نور عينيها ، بصيرة تعي  
وتفهم ! انا جميعا مكفوفو البصر - فالشيخ ضير ، لانه  
لا يرى الا على ضوء الذهب .. والغني ضير ، لانه لا يبصر  
الدنيا كما خلقها ربها .. والموس ضيرة ، لانها لا ترى  
في المرأة غضون وجهها .. وانا كفيلسوف اشدكم عني ،  
لاني لا اعترف بجهلي .. ثم ، ان اللص ضير ، لانه لا يرفع  
نظره الى السماء .. والخائن ضير ، لانه يغمض عينيه متى  
مرّ به صادق شريف .. وكل من يتكلم معكم ضير ، لانه  
لا يعترف بأنكم عني صمّ لا ترون ولا تسمعون .

« نحن اذا سواسية في الحكمة والسفه ، في الابصار  
والعمى ، في العلم والجهل ، في البسالة والندالة ...  
وفوقنا كلنا تستوي نور - او تعلمون من هي نور ؟ انها  
العمياء المبصرة .. انها الحكيمة التي لا تفوتها شاردة أو  
واردة ... انها النور ولو كانت عيناها لا تبصران النور !  
« أنا عالم افكر ، وطبيب أعالج وابريء .. أنا اديب

وشاعر ، لا اغضب او اثور ، بل أتقبل الامور مهما شقت  
بحلم وصبر •

« اثقلت عليكم بكلام لا طائل تحته ، فلننتقل الآن  
الى جو بهيج ينسيكم متاعبكم وغمومكم ! »

وصل البحار ، أو المتنكر في زيه ، واثنى الى الفندق  
فولجه • ودخل الساحة الغاصة ، فوقف يتأمل •• ورأى  
مركبة تنبسط امامها اخشاب مدعومة بركائز ، وعليها وقف  
شيخ يتلفع باهاب دب ، والى جانبه ، وقف شاب خيل اليه  
انه مقنع •• وفتاة عمياء •• وذئب حقيقي !

ودهش الرجل ، فصاح وكأنه وحيد : « رائع ! فرقة  
مدهشة ، ظريفة ، ظريفة ! »

كانت الفرقة قد وصلت الى لندن واتخذت لها مقرا  
في ناحية ساوثوورك ، حيث كان من الطبيعي ان تستقر •  
فأصبحت شرفة الفندق بمثابة القاعة التي يحتشد فيها  
الجمهور •

واتفق مع صاحب الفندق على الارباح والنفقات ،  
ووضع لافتة على الباب الكبير يدعو فيها الناس الى مشاهدة  
الرجل الضاحك ، والذئب العجيب ، والدب المتكلم • ثم  
علق لافتة اخرى في مكان منخفض كتب عليها : شاهدوا  
مسرحية اتصار الانسانية •• أعظم مسرحية لاعظم  
فيلسوف ، لاعظم ممثل ••



وفي مكان وسط من الشرفة ، اقيم حاجزان ، وصف  
عدد من المقاعد الوثيرة ليحتلها الاشخاص المرموقون .  
الا ان هؤلاء النبلاء لم يأتوا ، وظلت المقاعد خالية  
خاوية .

وغصت الشرفة ، وكثر دخل الفرقة ، ونضب تبعاً  
لذلك دخل الفرق الاخرى العاملة في تلك الناحية . وما  
كان النجاح الذي حازته الفرقة الا انعكاسا لشهرة جونبلان .  
وقد داخل الحسد قلوب اصحاب الفرق الاخرى ،  
مما أرّث نار غيظهم وحقدهم على جونبلان .

واظب البحار على الحضور في كل ليلة . كان يجلس  
بين الفقراء ، فيبدو برأسه المرتفع اعلى منهم وأرفع منهم .  
كان يقبل على المشاهد بحماسة منقطعة النظير . فيهدف  
للممثلين ، ويصفق بشدة ، ويلجأ الى العنف متى حاول احد  
منعه من الجلوس في مكانه المختار .

واظب البحار على مشاهدة العرض ، وأصبح أكثر  
الناس عطفا على جونبلان ، وقد لاحظ ارسوس وجونبلان  
اقبال الرجل على مشاهدة الالعاب ، فارتاحا اليه ، واتخذوا  
منه صديقا وظهيرا ، مع انهما لم يتبادلا معه كلمة واحدة .  
وحت الفضول أرسوس ذات ليلة على التحكك  
بصاحب الفندق ، وسؤاله عن البحار . وقد جاءه في  
الاستراحة ، وقال له بتودد :

« من هذا الرجل يا نيكولس ؟ أتعرفه ؟ »

فأجابه نيكولس قائلاً :

« نعم ، اني اعرفه » •

« من هو ؟ »

« بحار •• أما ترى ملابسه ؟ واسمه توم جيم جاك ! »

لم تتصل الفرقة بأي انسان رغم نجاحها الباهر ، بل  
لاذت بمركبتها لتوفر على نفسها متاعب الاختلاط ونكبات  
الانفتاح !

الا جوفبلان •• فقد شدّ عن القاعدة ، وطقق يغادر  
المركبة بعد انتهاء التمثيل ، ليمشي ساعة ، فيفكر ويتنفس  
ملء رئتيه • وكان يقفل راجعا في منتصف الليل ، فيتأمل  
في كل شيء ، حتى اذا اطمأن الى ان المركبة سالمة والجماعة  
نائمة مطمئنة ، انتجع الفراش ، لتلم به الاحلام ، فيزوره  
طيف نور ، فيخاله ملاكا هابطا من السماء •••

اهاج اقباس الناس عوامل الغيرة في قلوب الكثيرين  
كما قلنا ، فحققوا على الضاحك ، وودوا لو استطاعوا  
ابعاده ، ولو بالكيد والوقعة •

بدأوا بحضور حفلات الفرقة لاحداث الضوضاء  
وتنفير الناس • واغتم ارسوس وجوفبلان ، ولم يجيدا في  
نفسيهما القدرة على مقاومة المخربين •

بيد ان الفرج جاء من باب آخر ، فقد لاحظا بعد أيام

ان البحار أخذ يتصلى للمشاعين بقسوة ، ولا يتردد عن منازلهم ، فلجأ هؤلاء الى اسلوب آخر ، فشنوا حملة شعواء مستهدفين منها التأثير في رجال الحكم ورجال الدين .. فعاضدهم رجال الدين ، لانهم هم الآخرون ، لمسوا خطر أرسوس ، وايقنوا ان جونبلان شغل الناس عن دينهم •

ونسب الى ارسوس تهمة الشعوذة الملحدة ، ألصقت به فرية الكفر والزندقة .. واستفحل الخطب ، ف قيل ان الرجل الساحر يقهر الحيوان ، وينطق الذئب ، ويحيل من الحجارة أشياء نابضة متحركة !

وحكم على أرسوس وجونبلان ونور وهومو بالموت حرقا ، هذا ما بدا في الجو ، وايقن منه اصحاب الملاعب الاخرى •

بيد ان للرأي العام سطوة ونفوذا ، ردعا رجال الدين واخافا رجال السلطة .. ومضت الايام واعمداء ارسوس يتربصون به الدوائر •

واتفق في ليلة ، وجونبلان يجمع المال ، ان عثر على قطعة فضية مطبوعة برسم الملكة أنا .. وتمتم جونبلان بكلمة نقمة على الطبقة الحاكمة •

وسمع أرسوس الكلمة ، فاقبحى به جانبا ، واوصاه بالحيطة والحذر ..

ولاشى تعاقب الايام خوف أرسوس ، وان لم يقلع  
عن عادته في مراقبة الناس والاصغاء لما يقولون •

وبينما هو في يوم ينظر من نافذة المركبة ، اذ به يجفل  
ويفر اللون من وجهه • وبسرعة أوما الى جوبلان وهو  
يقول : « اسرع ، اظر ، أما ترى ؟ »

فاجابه جوبلان بدهشة : « وماذا اظر ؟ »

« اما ترى الرجل المتشح بالملابس السوداء ؟ انه رجل  
رهيب يدعى الضابط الاسود • انه القانون ، وهو فوق  
القانون ! »

« ماذا يحمل في يده ؟ »

« العصا الحديدية ، ليمس بها من يشاء ! »

« ولو مسّ به من يشاء ؟ »

« يكون المسكين من الهالكين ! فمتى لمسك بعصاه

تضطر الى السير وراءه ! »

« الى اين ؟ »

« أنى لمثلي ان يعرف • »

« هذا امر عجيب • »

« وهو لا يتكلم ، فعصاه وحدها هي التي تنطق ! »

« وهل بلغ الظلم هذا الحد ؟ »

« انه عصرهم ، والعصا اقوى من الامة ! »

« واذا عصى انسان امر العصا ؟ »

« يكون مصيره الموت شنقا ! »

ومرّ الرجل الاسود بسلام ، فزال خوف أرسوس  
وقال : « لا أرجعك الله ! لا أراني وجهك ! لا أشعرني  
بعصاك ! »

\*\*\*

جرى ما لم يكن في الحسبان ، ورأى المثلون ذات  
ليلة بعض الناس في المكان المخصص للاشراف •

في تلك الليلة ، رفع الستار عن المشهد الاول لتمثيلية  
انتصار الانسانية ، وظهر أرسوس وجونبلان فشاهدا سيده  
رفيعة القدر ، عظيمة الحسن ، أنيقة الملبس • ولاحظا ايضا  
ان الجمهور كان مأخوذا بمفاتن المرأة ، وان البحار توم جيم  
جاك كان اكثر الناس دهشة وتعجبا •

وكان يقف وراءها خادم نحيل العود يرتدي ثيابا من  
القطيفة ، ويضع على رأسه قلنسوة تبرز منها ريشات  
بيضاء •

واذكى وجودها نار الحماسة في قلوب الممثلين ،  
فبذلوا جهدهم في اداء ادوارهم • كما ان وجودها ألهم  
شعور المتفرجين ، فهتفوا وضحكوا ، وكان توم جيم جاك  
اكثرهم ضحكا !

واتتهى التمثيل ، فأطلقت الانوار ولاذ أرسوس

وجماعته بالمركة ، حيث افرغ كيس النقود على المنضدة ،  
فأثار عجبه ليرة ذهبية تتلحرج ثم تسقط على الارض •  
والتقطها الفيلسوف وقلبها بين يديه وهو يقول بنشوة  
المنتصر : « انه جنيه من الذهب ، وقد بذلته المرأة ولا شك ،  
فسقيا لها ! »

وجاء صاحب الفندق في تلك الفينة ، وحسرتار  
النافذة وهو يقول ويشير باصبعه : « انظروا ، ها هي  
السيدة •• انها أعظم شأنًا مما ظننا ! »

ونظر ارسوس وجونبلان ، فشاهدا والعجب آخذ  
منهما ، عربة يحفّ بها الخدم ، ويتقدمها حاملًا المشلعين !  
وفغر الاثنان فيهما ، وتتبع العربة بنظريهما • حتى  
إذا غابت عن العيان ، استدارا فواجهها صاحب الفندق بنظرة  
متسائلة :

وقال الرجل وهو يضحك مسرورا : « انها اميرة ! »  
وقال ارسوس : « اجل •• ونسيج وحدها ! »  
وقال صاحب الفندق : « والاعجب من هذا كله ان  
رجلا مغمورا رافقها في العربة » •  
وقال ارسوس : « ومن ترى الرجل ؟ »  
قال : « سيتولاك العجب ، انه توم جيم جاك ! »  
فصاح ارسوس : « اتقول الصدق ؟ أرافقها البحار ؟ »  
قال : « هذا ما قلت ، وأصر عليه » •

وكانت نور منتبذة ركنا من المركبة ، وقد انصرفت عن  
الجميع وأخذت تفكر بحبيبها ، فجونبلان استحوذ على  
تفكيرها وامتلك شغافها .. فلما سمعت كلامهم عن المرأة  
القاتنة ، أنشأت تقول : « أما من طريقة نمنع بها السيدة عن  
المجيء ؟ »

والتفتوا اليها بدهشة ، ولم يجيبوها .



غريزة المرأة قوة عظيمة . وغريزة نور جعلتها تتلمس  
السلام وتطلب منع المرأة من المجيء .  
داخل جونبلان قلق واضطراب ، ساعة رأى السيدة  
الرفيعة .. احسّ بنفسه تتجه الى السيدة المتناهية الحسن،  
وشعر انه اكتشف الحقيقة وعلم كيف تكون الاثى !  
وتذكر كلام أرسوس عن الطبقة المترفة ، وطريقة  
حياتها . وصور له الخيال تلك الحياة في أبهى صورة ،  
فتاق الى تذوق حلاوة تلك الحياة .  
ومثلت له المرأة بمحياها الوسيم واسنانها اللؤلؤية ..  
ومثلت له الحجرة التي تنام فيها ، فخفق قلبه !  
مما هذا الاحساس المتدفق الذي يفيض من قلبه ؟  
حاول ان يتخلص من افكاره ، وان ينأى بها عن المرأة  
الحسنة .. حاول ان ينام ، ولكنه قضى الليل مؤرقا !

واشتهى - والشهوة غريزة تنام ، ولكنها تستفيق  
بغثة لتطالب بحقها ! اشتهى هذه المرأة ، وتقلب على فراشه  
وهو يتأوه ، لأن شعوره اقنعه ان دون بلوغه الوطر خرق  
القتاد .. ولكنه مع هذا ، فكر ، وتاق ، واشتاق .. فهل  
يعشق حلما ؟ هل يعشق طيفا ؟ هل يعشق نجما ؟

وصاحت الديكة ، وخمدت مع تبليج الفجر النار  
وتنازعه التيار بقوة ، تيار الغريزة - الظلام يتعارك مع  
النور ، والرذيلة تشتبك في صراع مع الفضيلة !  
وصاحت الديكة ، وخمدت مع تبليج الفجر النار  
المندلعة ، وانتصر النور على الظلام .. ونام جونبلان •  
ولم يفكر في الايام التالية الا بحبيته نور .. حبيته،  
ورفيقته ، ومسعدته !

لم تظهر تلك الحسناء مرة ثانية ، فما عبيء ارسوس  
بغيبتها ، بل قال يوما في معرض الحديث : « انها ومضة برق  
شعت ثم اختفت ! »

واغتبطت نور وسرت ، فقد تلاشى الخطر الذي برز  
من الغيب في اهاب مزاحمة •

على ان توم جيم جاك انقطع عن المجيء هو الآخر ،  
واقلق هذا التغيب بال ارسوس وجونبلان ، وتساءلا عن  
السبب ، وعن العلاقة التي تربط بين البحار الوضيع والسيدة  
العظيمة ! ولو قرأ ارسوس الصحف لعلم ان اللورد ديفيد



قد نزع عن البلاد صدوعا بأمر الملكة ، التي عينته اميرا على  
البارجة المقلعة الى الاراضي المنخفضة •

لو كان يقرأ ، لادرك ان هناك صلة بين اللورد وبين  
توم جيم جاك ! بل لعلم ان الرجلين رجل واحد !

واما غير ذلك ، فقد زال الخطر الذي جسده مكائد  
اصحاب الملاهي ، فكفت الكنيسة عن ملاحقة الملحد  
ارسوس ، واستأنفت الفرقة نشاطها ، فجمعت المال ونالت  
الاعجاب .. واقبل عليها ذوو الجاه واليسار زرافات  
زرافات .. وقد جاء الكثيرون منهم متكرين مستخفين !



انتهى التمثيل وقد انقضى من الليل قطع كبير ، وغادر  
جونبلان المركبة في جولته .. وكان السكون مخيما ،  
والنسيم عيلا منعشا .. فطابت نفسه ، واطمأنت روحه ،  
فمشى مرتاح البال يفكر بنجاحه وجه •

وبينما هو في حالته تلك ، شعر بشيء يوضع بين  
يديه • فوقف مذعورا ، ثم التفت .. ورأى امامه رجلا  
صغير السن ربع القامة يضع على رأسه قلنسوة تبرز منها  
ريشات بيض •

وتذكره جونبلان .. تذكر انه خادم تلك السيدة •  
وابتدره الخادم قائلا :

« اذهب في الغداة ، في مثل هذه الساعة الى جسر  
لندن حيث تجدني في انتظارك ! »  
فقال جوبلان مشدوها : « وماذا تطلب ؟ »  
قال : « سأصحبك الى شخص ما ! »  
واختفى الرجل في احشاء الظلام • ونظر جوبلان الى  
الورقة ، ثم اتنى راجعا •  
وهناك قرأ ما فيها ، فخيل اليه انها كلمات خطها  
مجنون ، أو انه مجنون يقرأ ما لم يكتب •  
قرأ جوبلان هذه الكلمات :  
« ما أبشعك ، وما أجملني ! انت ضحك وانا دوقه !  
انت من الدهماء وانا من الصفوة ! ومع ذلك فأنا أحبك  
وأشتهيك ، وسأنتظر مجيئك غدا ! »  
وحملق جوبلان غير مصدق • اترسل الحسناء البارة  
الجمال في طلبه ؟ أتشتهي رجلا مثله ؟ ألا يكون ناقص  
العقل لو ذهب ؟ أليس كاتب الرقعة ماجنا ؟ ام هو  
مجنون ؟ ! »

### الرجل الرهيب

أيقن جوبلان للوهلة الاولى انه مخبول ، والا فكيف  
يعتقد ان الرقعة كتبتها امرأة رفيعة الشأن !

غير انها رقعة دبجتها يد امرأة ، وها هو عنوانها يدل  
عليها • وما برح يتلو الرقعة حتى استيقظت غريزته ، واحس  
بأنه فقد صبره •

انه لامر مدهش ، فكيف يقع هذا ؟ كيف تشتيه  
غادة فاتنة وتطلب اليه ان يلتقيها ؟

ورآها بعين خياله متلفعة بغلالة بيضاء تشف عن حسن  
باهر ، وتقاطيع شهية •

انها لاجوبة ، والا لما نزلت الى الهوة السحيقة التي  
يعيش في قلبها ••• هو القبيح المشوه •

ارتعش جوبلان ، وشعر بضميره يتقهقر مستخديا ••  
شعر ان للشهوة جنودا تمهد لها الطريق •• شعر ان الهوة  
سلاحا لا يقوى الضمير الاغزل على مقاومته •

وتفتحت عيناه ، ونشب في قلبه قتال بين الشهوة  
والعفة .. واستقرت في الجسد نار أكالة .. لقد تبدل كل  
شيء !

فكر بنور فأوشك على البكاء ، ونظر الى الساعة ،  
فاذا هي تجاوز الثانية صباحا ، فوضع الرقعة في جيبه ودلف  
الى حيث ينام الخادم جو . ثم عاد أدراجه فأوصد باب  
الفندق ، وصعد الى المركبة واستلقى على فراشه .

أغمض عينيه ، فأجفل النوم .. حاول أن يستسلم  
للرقاد فجفا الوسن مقلتيه . ومضى الوقت وهو مضطرب ،  
يضرب أخماسا لاسداس ، ويضل في تيه من الفكر .

وظهر الخيط الابيض من الخيط الاسود ، وفكره ما  
زال أسود مظلما . وتنحنح ارسوس وغادر فراشه ، فلم  
يتحرك جونبلان ، الا ان ارسوس قال مستفهما : « ما بالك  
يا جونبلان ؟ انهض ! » .

وتملل جونبلان ، ثم استوى جالسا ، وأجال طرفه في  
المكان ، وكأنه يراه لأول مرة ، وشاهد نور تدنو منه ،  
فرماها بنظرة من يستوحش من شخص .

ووقفت واصاحت ، لتسمع من حبييها تحية الصباح ،  
ولكنه رنا بنظرة المتعب الى الوجه الملائكي .. وأحس في  
تلك اللحظة بثقل مريع يرتفع عن صدره ، وبالظلام الحالك  
ينجاب وينحسر .

الخير انتصر في قرارة نفسه .. الضمير استيقظ ..  
ورأى في العمياء ما بدد شكوكه وهمومه .  
العمياء التي شق اسمها من النور تطل عليه من  
عليائها ، فتنجيه من أفكاره السوداء .  
ونظر الى الظهر المجسم في العينين المكفوفتين ،  
وسقطت على خده دمعة تحمل من المعاني ما لا تحمله  
المجلدات !



اغتبط جونبلان لا تتصار الخير على الشر في قلبه ،  
فنهض مستبشرا منشراح الصدر ، وما هو الا قليل حتى  
جلسوا الى مائدة الافطار الصغيرة .  
واتهز جونبلان الفرصة فأدنى رقعة الغرام من لهب  
المصباح ، فاحترقت واحترق معها خيال الحسناء التي  
أرسلتها .

واشتمت نور رائحة الاحتراق فقالت متسائلة : « ما  
الذي يحترق ؟ »

وقال جونبلان : « ورقة بيضاء ، فلا تفزعي ! »  
لم يتسرب الشك الى قلبها ، وافتر ثغرها عن بسملة  
وضيئة ، وجاراها جونبلان فابتسم .. لقد تحرر من القيود ،  
ولا يغله الى عجلة الحب الا قيد نور !

وتحدث المحبان حديث القلوب ، وأصغى ارسوس في صمت واطراق للحبيين المسترسلين في مطارحة بريئة •  
وقالت نور وكأنها تناجي نفسها :

« أنت حياتي ونور عيني •• أنت القوة التي تحب الي الحياة •• أنت نبراسي •• أخاف أحيانا ، فيدد خيالك خوفي ، ويلاشي همي وغمي ! » •

وقال يجيها بصوت ينطق بالصدق والاخلاص :  
« نور ! أنت المعنى الخالد لي •• أنت السلوى والسلام ؟ » •

وتنحج ارسوس وقال وكأنه يؤنب العاشقين :  
« أتتما تحبان بعضكما بعضا اذا ••• ألا تعلمان ان السعادة أحيانا جريمة ؟ الا فاعلما ان السعيد متى كشف عن مشاعره يتيح للشر بابا موصدا ؟ وهذا الحب الذي انشدتما نشيده ، خيال يجسمه الوهم ••• أما أنا ، فما انا حارس حبكما ، فاغربا عن وجهي •• لا تسمعاني من هرائكما ولغوكما ما يزيدني برما وضيقا ! » •

ولكن الشيخ أدرك مما ارتسم على وجه الحبيين ،  
أنهما أخذا كلامه مأخذ الهزل ، فسارع يعقب وهو يقطب :  
« أنا لا أفكه ، بل أقول ما ينبغي ان أقول ! » •

وابتدرته نور : « ما بالك تنحي علينا باللائمة يا أبي ؟ » •

قال : « لانكما متهوران تظنان الدنيا طيعة سهلة  
القياد •• واعلمي ، واعلم ، ان على الانسان ان يتحفظ في  
اعلان سعادته ! » •

وقال جونبلان وهو يقف : « أصبت يا أبي ، فما من  
فرح الا ويعقبه ترح ، وما من سعادة الا ويلها شقاء ! » •  
وهدر صوت هومو الذئب ، فانحنى ارسوس عليه  
بعطف ، وقال : « انت مثلي يا عزيزي - حكيم تتوخى  
السلامة » •

غير ان الذئب زمجر بصوت مرتفع ، فعجب ارسوس ،  
وحاول ان يسترضيه • وزمجر هومو للمرة الثالثة ، ثم نهض  
وتقدم من الباب •

وهم ارسوس بالنهوض ليرى ان كان في الخارج أحد ،  
ولكنه جمد في مكانه وهو جاحظ العينين ، يحدق بذهول  
الى رجل يقف بلا حراك !

كان الرجل متشحا بالسواد ، ويغطي رأسه بالشعر  
المستعار ، ويرفع بيده عصا من حديد •

وتقدم الرجل ، وردد ارسوس اسمه :

« الضابط الاسود •• الضابط الاسود •• » •

واقشعر جسد جونبلان ، لقد استعاد البى الذاكرة  
حديث ارسوس عن هذا الشيطان المرید ، واوشك ان يصرخ  
هلعاً •

وتبع صاحب الفندق وهو يتعثر من شدة الخوف  
الضابط الاسود ، ورفع الضابط عصاه فمس بها كتف  
جونبلان ، ثم أوماً اليه ان يتبعه •

طاشت سهام جونبلان ، وأيقن من الهلاك •• أدرك كل  
شيء ، وشعر باللهفة والمضض •• فالعصا الملعونة لا تقبل  
رفضاً او تمرداً !

حاول ان يمثل ، ولكنه أحس بالوهن •• كانت  
الصدمة قاتلة ، فالرجل الاسود يأمره ، وعليه ان يطيع •  
جن جنون أرسوس ، وقد شعر بالنهاية المروعة ، لقد  
ألمت الطامة الكبرى •

وشخص جونبلان الى الضابط الاسود ، ودنا هذا  
منه وقبض على راسه بطريقة يعلم منها الناس انه لا يطلب  
الا تلك الضحية !

وبسرعة استدار الرجل المخيف ومشى ببطء دون ان  
يلتفت الى الوراء •

نظر جونبلان الى أرسوس متوسلاً ، ولكن الاخير هز  
رأسه ثم فكسه ، وكأنه يقول : « كلا يا جونبلان لا تتمرد ،  
لا تقل لنور شيئاً ، بل اتبعه على الفور ! » •

والتفت الشاب الى محبوبته والاسى منطبع على  
أماثره ، ودمعت عيناه ، فانحنى عليها ، وكأنه يرغب في تقيلها  
قبلة الوداع الاخيرة !



الا ان أرسوس حال بينه وبين نور ، وهمس في أذنه :  
« لذ بالصمت ! لا تتكلم قبل ان يطلب الاستجواب  
منك ان تتكلم ! » •

ورنا جونبلان الى نور بعين محبة حزينة ومضى وراء  
الرجل الاسود .. أخذ يقفوا اثره ، كأن فيه جاذبا يجره  
وراءه فلا يجد محيصا عن ذلك !

واصل الضابط الاسود تقدمه ، لا يترث ، شأن  
الواقق من نفسه ، المطمئن الى ان ضحيته ألزم له من ظله •

ابتعدا عن الفندق ، وغذا السير في أرض خلاء ، حتى  
اذا وصلا الى الطريق المعبدة ، رأى جونبلان ثلة من الجنود  
في انتظارهما ، ورأى جمهورا من المستطلعين جمعهم  
الفضول في مكان واحد قريب من الجنود •

داخل حسه ان نهايته أزفت ، وان أجله حم .. فزفر  
زفرة مكلوم مكروب ، وفكر بنور وبأرسوس ، وقال يحدث  
نفسه : « رباه ! هب لي القوة والايمان ، حتى أصمد أمام  
أعدائي ، وأخرج بريئا طاهر الذيل ... رباه رباه ! » •

أحاط به الجنود احاطة السوار بالمعصم ، وأشار اليه  
آمرهم ، فمشى مرفوع الرأس شامخ الالف .. مشى وفي  
صدره عواطف وأحاسيس تختلج متضاربة متصارعة !

ومشى الضابط الاسود في المقدمة ، بخطى ثابتة  
يضرب بها الارض بوقع قوي رتيب •  
مشى الضابط الرهيب ، ومشى وراءه جونيلان -  
ذاك يفكر ولا يعلم احد مدى فكره ... وهذا يفكر ،  
وكلنا نعلم محور فكره !

### النكبة

أرسوس حكيم ، ولو كان مهرجا ومشعوذا وساحرا !  
علمته الدنيا حكمة خالدة خلود الانسان والزمان  
والسموات !

قال لجونبلان منذ ساعة : « السعادة تنقلب سر منقلب  
فتمسي شقاء وتعسا .. قالها بكلمات أخرى .. وقلب الدهر  
لجونبلان ظهر المجن ، وانتزعه الضابط الاسود انتزاعا مسن  
محييه ! » .

هبط ارسوس من المركبة ، وتبع جونبلان بعد ان نبه  
الجميع الى كتمان الامر عن نور .

كان مؤمنا ان الامر تافه .. ولكي يستوثق من تأويله  
رأى ان يتبع الموكب ليعلم مقصده .. فلو اتجه الضابط  
الاسود الى ناحية اليمين فمعنى ذلك ان المسألة خطيرة ، وان  
جونبلان متعرض لاسوأ الامور . ففي تلك الناحية أمكنة  
يرتعش لذكرها أشجع الشجعان - فيها سراديب مظلمة

يساق اليها الضحية ، وتختفي آثاره الى الابد !  
واذا اثنى الى الشمال ، هان الامر ، لانه يكون  
قاصدا دار العدل التي يجري فيها محاكمة اشخاص ارتكبوا  
المخالفات التافهة .

ووصل الموكب الى مفرق الطريقين ، ومال الضابط  
الى اليمين ، فأغمض ارسوس عينيه حتى لا يبصر تلك النعمة  
الرهيبة !

ومادت الارض تحت قدميه ... لقد ضاع جونبلان ،  
وانتهت حياته وحياة الاسرة كلها !

وواصل الموكب تقدمه بين البيوت المتداعية . وترى  
الضابط في مكان خال من المنازل ، ثم اتجه الى بناء أسواره  
مرتفعة ، ونوافذه مشبكة بقضبان الحديد ، وبابه الحديدي  
يعلوه الصدا .

وقف الموكب ، وطرق الضابط الباب ، وراقب ارسوس  
ما يجري من مكمته ، وفتحت الكوة التي تعلو الباب ، وقال  
الضابط :

« افتحوا ... فأنا آت بمهمة ملكية » .

وصر الباب ، وفتح . ودخل الجند بجونبلان .  
هذا هو سجن باثوورك الرهيب ، كان سجنا متسعا ،  
وله بابان ، واحدهما الذي ادخل منه جونبلان ، وهو  
« مدخل العقاب » .. ولا يلجأ الا من يخرج منه محمولا

في نعل ، لان مقبرة السجن كانت تقع في مكان قريب منه  
لا يفصلها عنه سوى الطريق •

اما الباب الخلفي ، فهو الباب الرئيسي المخصص  
للموظفين والقضاة والمحققين •

طفق جونبلان يتساءل عن الجريمة التي اقترفها ، وعن  
القصاص الذي ينتظره ، واكتنفه ظلام دامس - فالمكان  
الذي مر فيه لا تضيئه نافذة او مصباح •• وقد علم انه  
يمشي في دهليز •

ولما اعتاد الظلام ، تسنى له رؤية بعض الاشياء ،  
وتكوين فكرة عن الدهليز الذي يعبره •

وهاله الامر - ففي لمحة فقد خريته وشخصيته !  
أدرك ان قوة قاهرة تسلطت على قوته لتتكل به !

وفكر بأرسوس وبكلماته •• فكر بنور وبهومو ••  
وبرم بالصمت ، فهتف بصوت مبحوح :

« ماذا دهاكم ؟ والى أين ؟ » •

فلم يسمع غير الصدى •• فتأوه ! ولكنه تجلد واستمر  
يمشي •

وأحس بالجوع ، وجف حلقه ، فرغب في جرعة ماء ،  
غير انه تمالك نفسه فعض على شفتيه ولم يتكلم !

\*\*\*

استطاع جونبلان وهو يقطع الدهليز الطويل ان يرى  
فتحات ضيقة مشبكة تقوم على الجانبين .. كما شاهد فسي  
الزئانات المنخفضة سلالم ترتفع الى أعلى .

واجتاز ثلاثة أبواب ، ثم انحدر الى منخفض ،  
فتساقطت على رأسه قطرات الماء ، وشعر بالاختناق .

وتوقف الجنود ، وطرق الضابط على باب من الحديد ،  
فارتفع الباب ، وكأنه يغيب في السقف ، وظهر من الداخل  
ضوء مصباح وأغمض جونبلان عينيه ، وندت من صدره  
صرخة فزع ...

رأى ما سلبه رشده .. رأى درجا حجريا ينحدر أفقيا  
الى وكر دائري تتأت جدرانه بالحجارة ، وامتلا السقف  
بالعناكب .

ودفعوا جونبلان دفعا الى الداخل ، فرأى المصباح  
الذي ينير القبو .. وقيد لحظه انسان عري من ثيابه ،  
وطرح على الارض وسط الاعمدة التي يقوم عليها  
السقف .

كان الرجل المنطرح ساكن الحركة ملطخا بالدم ..  
كان مشدودا بأغلال الى الاعمدة .. ورجلاه ويداه  
مقيدتين .

انسان نكل به حتى اصطبغ بدمه ، وانتثر لحمه .  
وشعر جونبلان بسوء المآل ، وضیعة الآمال ، وفكر بنور

فسحَّت دموعه •

ونقل طرفه ، فشاهد رجلا متلفعا بعباءة حمراء ، يقتعد  
كرسيا •• وعن يمينه وشماله رأى رجلين متشحين بالسواد •  
واعجب ما استرعى انتباهه وردة كبيرة يمسك بها  
الرجل الاحمر - وهو قاضي الناحية - وكانت العادة المتبعة  
ان يمسك القاضي بوردة عندما ينزل النكلة بالمجرم ! كما  
جرت العادة ان يشهد عملية العقاب ، الطبيب ورجل القانون  
- وهما الرجلان المتشحان بالسواد •• وكذلك كاتب  
المحكمة •• وقد جلس وأمامه أوراقه •

ورأى جونبلان أيضا ، رجلا مشتملا جلد حيوان ،  
فأيقن أنه الجلاد •

وربت كتفه انسان ، فالتفت مذعورا ، فرأى الضابط  
الاسود يوميء اليه ان ينزل فصdec بالامر وهبط الدرج ،  
ووراءه الضابط •

تلاشى كل أمل في صدره ، فمصيره ولا غرو كمصير  
الرجل الذي كان يئن أنينا موجعا ، والدم ينبثق من فمه •  
ودعاه القاضي باسمه قائلا :

« جونبلان ••• تقدم ! » •

فلم يحرك جونبلان ساكنا ، الا ان الضابط الاسود  
همس في اذنه ، فامتثل ودنا من القاضي •• واقشعر بدنه ،  
فقد تبين ملامح الرجل المعذب •• رأى جسده الدامي ،

ويديه وساقيه .. ورأى فوق صدره كتلة من الحديد  
تعلوها الحجارة !

ونظر القاضي الى جونبلان ، وما لبث ان هز عصاه  
وضرب بها الارض ، ولوح بالوردة ، وأنشأ يقول :

« ارحم نفسك أيها المجرم ، وأصنع لكلمة العدل ..  
انت أيها المجرم ، اوقعتك نفسك الحوباء في ما نهى عنه  
القانون ، مما يعتبر شقا لعصا الطاعة ، وافتراقا عن ركب  
الناس ، وابتعادا عن الولاء للمليكة ! فان تماذيت في  
صلفك ، أصابك اضعاف ما نزل بساحتك .. ان على  
صدرك حجرا لا يرتفع ما لم تعترف .. وستبقى في مكانك  
هنا لتموت موتا بطيئا .. فاقطع عن عنادك وقل ما يريح  
ضميرك وينهي عذابك .. وسنكتفي حينذاك بشنقك ، بعد  
ان نقيتك ونقدم الماء لك ! » .

وصمت القاضي .. ولكن المعذب لم ينطق ،  
فاستأنف : « ويحك أيها المنكود ! تكلم ! انقذ نفسك  
الخائرة ! » .

ولما لم يحرك الرجل ساكنا ، التفت القاضي الى  
الطبيب وأمره أن يجري عليه الفحص .

فامثل الطبيب وجس نبضه ، وتحسس جبينه ، ثم  
قال يخاطب القاضي : « انه حي ، وفي وسعه ان يتكلم ! » .  
واقصب القاضي واقفا وقال بصوت مفعم بالتهديد :



« أيها المعذب . انني ذو سلطة عظيمة ، فلا تضطرنني الى انيان ما تعافه روحي ؟ فتكلم .. ولا تحكم على جسدك بهذا العذاب الهائل ! قل أيها المعذب .. أتعرف هذا الرجل المائل أمامك ؟ » .

لم يتحرك الرجل . وانتفت القاضي الى الضابط الاسود وقال :

« دع الرجل برفع قبعته عن رأسه » .

فأحنى الضابط هامته احتراماً ، وأمر جونبلان ، فخلع غطاء رأسه .... وبدأ وجهه .... وظهرت ضحكته !

ووقع نظر السجين على وجه جونبلان ، فارتعد جسده واختلجت أهدابه ، وما لبث ان أشاح وهو يغتم :

« انه هو ! هو ! » .

وأتبع كلماته بتهقئة مدوية ، وأمر القاضي كاتبه ان يسطر ما رآه وسمعه .

أما جونبلان ، فقد مدت الارض تحت قدميه ، واستبد به الهلع ، واستطاع ان يتكلم أخيراً ، فقال :

« انه كاذب ! فأنا لم أراه الا اليوم ، هنا ، الآن .... يجب ان أعود ، فأسرتي تنتظرني بنفوس والهة .. أطلقوا سراحي ، أنا بريء ! » .

وأجهش ، وكاد يكي ، على أنه تابع يقول :

« أما ترون الشقاء المرتسم على صفحة وجهي ؟

والتشويه الابدى في فمي؟ وهل يسعني الا اضحك الناس؟  
فلم اذا ترمعون أن تهلكوني؟ أنا الضحاك ، والكل يشهد  
باستقامتي ! لست من يزجون بأنوفهم في ما لا يعنيههم ..  
أنا بأئس ، فارأفوا بي ... » .

وقاطعه القاضي وهو ينحني باحترام : « أنت رجل  
خطير الشأن ، انت اللورد فيرمان كلاشار .. البارون  
كلاشار .. المركز .. عضو مجلس اللوردات ! »  
فغر جونبلان فاه ، ونظر الى القاضي وهو يظنه متهمكما  
به ساخرا منه .

ولكن القاضي أمسكه من ذراعه ، وقال بلهفة تنضح  
بالتبجيل :

« أبقيناك طويلا هنا ، فاجلس أرجوك على مقعدي » .  
ايقن جونبلان انه لا يحلم عندما تقدم منه الضابط  
الاسود وقاده برفق الى المقعد ، ثم وقف وراءه هو  
والطبيب .

وأحنى القاضي رأسه ، وتناول اوراقا تعلوها رقعة من  
جلد ، فتصفحها ، وأنشأ يقرأ فيها ، قال :

« أنا الذي اخط هذه الكلمات ، صادق ، لانني في  
حضرة الموت .. انها ليلة دامسة الجلباب من ليالي يناير  
عام ١٦٩٠ المقرورة . في هذه الليلة تركنا طفلا بريثا على  
ساحل بورتلاند .

« تركناه يموت • وكان الملك جيمس الثاني قد أمر  
ببيعه في سوق النخاسة وهو في الثانية من عمره اسم هذا  
المسكين اللورد فيرمان كلانشار •• انه وحيد اللورد  
كلانشار عضو مجلس اللوردات ، من امرأته آن برادشو ،  
وهو وارثه الاوحد •

« وقد رأي ان يشوه ويبيع ، لتزول صفته ، وتضيع  
شخصيته •• ولا شك انه سيلاقي حتفه !

« أنا الرجل الذي اشتراه •• اشترته بعشرة جنيهات ،  
وشوه وجهه من اسمه هاركنون •• وقد اسميناه جونبلان  
•• ولا يعرف السر الا هاركنون •• واذا قدر له البقاء ،  
فهو الوحيد الذي يعرفه •• انه في السجن — سجن شاتام —  
حيث زج به الملك وليم الثالث بتهمة النخاسة ، وبيع الاطفال  
بعد خطفهم •

« ها هم رفاقي في الشر يشهدون ويوقعون على صحة  
ما سردته ، ويعترفون انهم احتفظوا بالطفل ثمانية أعوام ،  
واستغلوا تشويبه استغلالا شائنا •

« هربنا من انكلترا بعد ان تركنا الغلام •• ولكننا  
لن ننجو ، فالبحر يوشك ان يبتلعنا •

« البحر هائج ، والنوء رهيب •• فالقدر سلط علينا  
سيفه ! اننا نجثو الآن ، وابتهالاتنا تتصاعد من أفواهنا  
وقلوبنا ••• الله انقذنا من المصير الرهيب — اننا نادمون

سادمون ! لقد سجلنا اعترافنا ، وسنقذف به الى الماء في  
زجاجة ، فمن يعلم ؟ قد يرجع الحق المغتصب الى صاحبه !  
واننا اذ نوقع بأسمائنا ، نشهد اننا تفهمنا ما كتب فيه ،  
وهو الصدق ، والله شهيد ! » •

ولما قرأ القاضي أسماء الموقعين ، أردف يقول :  
« وسأقرأ أيها اللورد نبذة ملحقه كتبها الرجل :  
الرجال يموتون ، يغرقون بلا كفاح .. كتبت  
الاعتراف على الرقعة نفسها التي أمرنا الملك بها ان نشترى  
الطفل !



كان جونبلان يصغي بذهول ، ويستعيد في ذاكرته  
مشاهد بعيدة طوتها السنون ، ولما تلا القاضي أسماء  
الموقعين ، تذكر الاسماء ، وتذكر أصحابها ، وانبرى يقول :  
« أجل ، أتذكر الاسماء والاشخاص ، فكاتب الرقعة  
كان اسمه الاستاذ ، وهو شيخ يسترسل في الحزن .. كما  
أذكر زجاجة سوداء نقش عليها بالاحمر اسم انسان » •  
فقال القاضي : « أصبت ، والزجاجة معي ... انظر !  
وقد عثر عليها مختومة .. وهكذا شاءت العناية الالهية ان  
تحتفظ بالقيم الانسانية ! » •

والتفت بعد قليل الى الرجل المتضور وقال :

« والآن ما قواك ؟ أتبقى مصرا على الانكار ؟ » •

وتملل المجرم ، ثم فتح عينيه ، وتأوه ، وقال :

« لا جدوى من التشبث بالانكار ، فإله شاء أن

ينكشف المخفي ، وسأتكلم • الملوم هو الملك • • وأنا كنت

آلة طيعة في يده ! » •

وركز نظره على وجه جونبلان ، وأغرب في الضحك ،

وهو أثناء ذلك يقول : « أنا أضحك لأنك ما زلت تضحك

منذ سنين • • وستستمر في الضحك ! » •

واستغرق ثانية في قهقهة طويلة ، ثم أطبق فمه ،

وأغمض عينيه • •

ومضت دقيقة والصمت مخيم ، ولكن القاضي قطعاه

بقوله : « أيها المجرم ، يا هاركنون ! لقد اهدت بعد

ضلال ، فوفرت على نفسك مزيدا من العذاب • • اعترفت

بعد انكار ، ووافقت على ما جاء في رقعة الجلد ، لهذا فأنا

أرفع عنك سوط العذاب ، وأحوالك إلى الجلاد ، لينهي

أمرك بالشنق ! » •

وأوما القاضي إلى الجلاد ، فأزال هذا الحجر عن

صدره ، ورفع الأغلال والأصفاد ، ولكن الرجل لم يأت

بحركة • وأجرى الطبيب الفحص عليه ، ولم يلبث أن قال :

« انه ميت • • لفظ أتناسه مع الضحك ! » •

والثفت القاضي إلى الضابط الأبدى ، وأسماذيقا

الجثة الى مقبرة السجن •  
وعاد القاضي الى عصاه ، فرفعها ، ثم مدها الى الامام  
وهو يقول بعظمة من يمثل القانون :  
« أنا القاضي ، حامي العدالة ، بأمر الملكة والشعب ،  
أصرح أنك يا سيدي ، أنك اللورد فيرمان كلانشار ، عضو  
مجلس اللوردات ! » •

وأحنى هامته ، وحذا الآخرون حذوه !  
واتسعت حدقتا جونبلان ، فلمس جبينه بيده ، وقال :  
« أفي حلم انا ؟ أأنتم سكارى ؟ » •  
وتناهى اليه صوت عميق يقول : « أنا هنا يا سيدي ،  
فقر عينا ! » •

وتقدم باركفلد ، الجاسوس • وكان قد شعر ان  
الدقيقة الحاسمة أزفت ، فبرز ليؤدي دوره ، وليجني ثمار  
غرسه !

واستلنى باركفلد : « أجل ، أنا هنا •• كنت يا  
سيدي نسيا منسيا ، وхан الآن لك ان تسترد ما حرمته من  
الحقوق ••• فأنت لست جونبلان المهرج ، بل اللورد  
كلانشار ! » •

فقال جونبلان : « ماذا تقول ؟ ومن أنت ؟ » •  
قال : « أنا باركفلد ، ولقبني فاتح قناني البحر ••  
والبحر قذف بالزجاجة ، فلما فتحتها وجدت الرقعة ، فقرأتها  
مع الشهود ، وسارعنا الى اثبات الحقيقة ! » •

وصمت وهو يتفرس في أمائر جونبلان ، ثم استتلى :  
« وحينما دعنتي الملكة ، سردت عليها قصة القنينة ،  
فأمرتني ان أجري باسمها ما يقتضيه العدل ، على أن أتحرى  
الاخلاص في مهمتي .. وهكذا قمت بواجبي وانتهيت الى  
النتيجة التي رأيت .. لقد اتصر الحق أخيرا ، وانجابت  
العمامة عن سماء حياتك .. انت مثر عريض الجاه ، دخلك  
يربي على الاربعين ألفا من الجنيهات الذهبية .. ولك  
مقعدك السامي في مجلس اللوردات ، ومكانك في محفل  
القضاة والمشرعين .. ولك فوق هذا وذاك حق الاقتران  
بأنبل امرأة ، بأميرة ، بدوقة .. بكريمة ملك ! » .

وانهارت أعصاب جونبلان .. في مثل غمضة عين  
وفتحتها يتحول من مهرج الى نبيل !

جونبلان ..... جونبلان ...

ودارت الدنيا في عينه .. وترنح .. ثم سقط مغشيا

عليه !

### شهوة باركفلد

قنينة تائهة في الخضم اماطت اللثام عن سر دفين !  
ولما تجمعت الحقائق والادلة ، سجل رئيس مجلس  
اللوردات الواقعة التالية :

« بعد التدقيق والتقصي ، تبين لنا ، نحن أعضاء  
مجلس اللوردات ، ان سليل أحد اخواننا خطفته يد آئمة  
وهو طفل ، وشوهت وجهه ، وانه الآن يعمل مهرجاً  
وضحاكاً ، ويدعى جونبلان . فمجلس اللوردات قرر ان  
يشير على الملكة باعادة الامر الى نصابه ، فتأمر بجلب  
جونبلان ، وخلع لقب اللورد عليه ، ووضع أمواله في  
تصرفه ، على ان تتاح له اركانون المجرم المحكوم رؤيته ،  
وعلى ان يتعرف عليه فعلاً ، ويعترف بأنه الطفل الذي  
اختطف وشوه » .

أعملت الملكة الفكر — ان شقيقتها الدوقة جوشيانا لا  
تزال بلا زواج ، والاملاك والاموال التي أغدقت عليها هي



املاك واموال كلانشار ، فمتى حرمت منها شقيقتها ، غدت  
فقيرة لا تملك شيئا ، وهي ولا غرو تحب شقيقتها !  
فلتتزوج بجونبلان ، بذلك تحتفظ بعزها !

وقهقهت الملكة - أجل ، لتتزوج شقيقتها الفاتنة  
بالمشوه المخيف ، ففي ذلك ترفيه وتسليه لها ، وفيه أيضا  
اشباع لنفستها على شقيقتها !

الملكة طيبة القلب ، ولكنها لم تتجرد من روح  
التشفي .. وهي تحب شقيقتها وتحسدها وتشعر بالغيرة  
منها .. هي لا تشاء ان تراها مملقة ، ولكنها كذلك لا تشاء  
ان تراها رافلة بثوب قشيب من السعادة !

وأخذ باركفلد على عاتقه وضع الترتيبات اللازمة  
لرجوع اللقب الى صاحبه ، فأضفى طابع السرية على  
الموضوع ، وتكتم حتى لا يهدم أمله في طعن الدوقة تلك  
الطعنة النجلاء ! وانهمك في حبك خيوط مكيدته ، والسرور  
مستحوذ على مشاعره .

وشاءت الملكة ان تبعد اللورد عن البلاد ، فأمرته ان  
يسافر ، فصدع بالامر ، وبقيت خطيبته الدوقة في لندن ،  
ولكنها أحست في غيبته أنها فقدت عنصرا هاما من عناصر  
قوتها .

وشاءت الملكة ان تسترسل في عبثها ، وتتمادى في  
لعبتها ، وجاء اعتراف الدولة باللورد كلانشار تهديدا مباشرا

للدوقة واللورد ديفيد ، لان أموالهما هي اموال كلاشار ،  
انتزعت منه وحولت الى الاثنين ، شرط ان يتزوجا •  
اما باركفلد فقد ائتمله ما ينتظر الدوقة •• فقد سنحت  
الفرصة للخسيس تاكر الجميل ، فدبر الامور ، وحبك  
الخيوط ، وأيقن من الفوز •

وقد علم ان الرجل الضاحك مقامه في فندق تدكستر،  
فأهرع الى الفندق ، ورأى ، وتأكد ان سهمه أصاب الهدف!  
انه وجد اللورد كلاشار ، وبذلك حكم على اللورد  
ديفيد والدوقة بالفقر والمترية •

وضحك كما يضحك الشيطان بعد عودته من الفندق ،  
واستلقى على الاريغة وهو يقهقه •• ثم أغمض عينيه وغفا ،  
وحلم ••• لم يحلم بالمال ، بل بالدوقة تبكي وتسكب  
الدمع ، وقد تغفر جبينها وانكسر خاطرها •

وهو متى انتقم ، وطوق عنق جونبلان بمعروف ،  
سيكون حتما معروفا يكلفه غاليا •• سيستولي على ارادة  
هذا المهرج الغبي ، ويبتز منه المال ، ويعيش سعيدا هائلا !

\*\*\*

جرت الامور كما يشتهي المقبوح الفاجر • فاعترف  
هاركنون ، وأرسلت الملكة من قصرها رسولا خاصا  
يستدعي الدوقة جوشيانا ، فراودتها كبرياؤها على اهمال

أمر الملكة ، الا انها آثرت ألا تشعل نار الغيظ في قلب  
أختها !

استقلت جوشيانا مركبتها وانطلقت الى قصر وندسور،  
وكان هذا عندما اتى الضابط الاسود بجونبلان الى  
السجن .

وتمت الامور حسب الخطة ، فقد قيل للدوقة ان الملكة  
عاكفة على تصريف اعمال الدولة ، وستستقبلها في اليوم  
التالي .

وعلمت في اليوم التالي ان اللورد ديفيد قفل راجعا ،  
امثالاً لامر الملكة ، فعجبت وتولتها الدهشة ، وأيقنت ان  
الملكة تعد العدة لمفاجأة لن تكون سارة .



عاد جونبلان الى رشده ، فوجد نفسه في حجرة  
فسيحة تفرش أرضها قطع السجاد الثمين ، وتكسو جدرانها  
وسقفها سجف وستائر من القטיפه والمخمل ، وعلى ابوابها  
ونوافذها حرير ودياج ، وألقى نفسه مضطجعا على أريكة  
متحركة ، وقريبا منه رجل أصلع ، كبير الرأس ، ضخيم  
الجثة ، وكان هذا الرجل باركفلد بعينه .

كان الوقت ليلا والشموع تضيء الحجرة بنورها  
الخفاق . وتلفت جونبلان مذهولا ، فرأى سريرا عظيما يعلو



وقال جونبلان : « سأعطي المال الى أبي أرسوس ،  
فهو يستحق أضعافه ! » •

قال : « نعماً الرأي ، سأمر أحد رجالي بحمله الى  
أرسوس ، وقد أذهب بنفسه ! » •  
قال : « كلا ، أنا ذاهب ، فعندي ما يقتضي الاجتماع  
اليه ! » •

قال : « هذا متعذر ، فالمسافة لا تقل عن عشرين ميلاً .  
قصرك قريب من قصر الملكة ، وقد حملناك الى هنا في عربة  
تجرها أربعة جياد ، ولا يعرفك خدم القصر ، فمن المحال ان  
تخرج .. والآن يخلق بنا ان نتكلم ، ففي الحديث فائدة  
جمة لك . انت سيد عظيم ، وفي هذه الخزانة المبطنة بالمخمل  
توجد بزتك الرسمية المعدة لمجلس اللوردات .. فأنت وارث  
اللقب ، وأحق من الجميع في احتلال مكانك . بعد ساعات  
تجلس مع أعظم رجالات الدولة .. وغدا تكون من جملة  
من يقرر سياسة البلاد الخارجية .. أسمعت ؟ غدا ! » •

قال : « سمعت ، ولم أع ! » •

قال : « والامر منوط بك .. فالنبيل في حل من كل  
واجب اذا أراد .. وحرى به ان يختار .. ان يفاضل .. له  
ان ينزل عن الذروة .. انه حقه - الاختيار ! » •

ونظر باركفلد الى الضاحك ملياً كأنه يستشف فكره ،

ثم أتم :

« لهذا توخينا الكتمان ، حتى أعضاء مجلس اللوردات  
ما برحوا في جهل مطبق .. فلك شقيق من والدك ، ولدته  
أمه سفاحا ، فقد كانت خلية أليك .. وهو الآن يتمتع بما  
يديره اسمه ، ويحاط بالتقدير .. فان اردت مكث أخوك في  
مكانه ، ولزمت انت مكانك .. فماذا تقول ؟ هل تستولي  
او تتخلي ؟ » •

صمت باركفلد منتظرا الجواب ، ولما لم يفز بطائل ،  
استطرد بصوت أجش : « أنت على مفرق طرق ، فاختر ..  
انطلق مع الريح المؤاتية ، ولكن ، حذار فالندم لا ينفع بعد  
البت .. كن حكيما .. انت مت منذ ساعات .. أتفهم ؟ فما  
قولك ؟ » •

شخص جونبلان الى السقف ، وخفق قلبه .. جعل  
يفكر ، وما لبث ان صعد ناظريه في وجه محدثه وقال :  
« أنا لورد ! » •

ووقف باركفلد كمن لدغته أفعى .. ثم تألق وجهه  
الخبث بيسمة الظفر ، وتناول صندوق المال وخرج •

### وجع القلوب

تفطر قلب ارسوس .. رأى ريبه يساق الى السجن  
 الرهيب ، فأيقن من زوال السعد ، وضياع جونبلان •  
 قفل راجعا وهو يتعثر .. وكانت الشمس في الطفل ..  
 وكان يتلفت ، وكأنه يتوقع ان يستدرك جونبلان •  
 وتريث على حين غرة ، وحدث نفسه بصوت مسموع :  
 « لو لم يستحق العقاب ، لما تجرع من الصاب ! انه عنيد  
 تجنى على نفسه ! وما الاحق الا أنا لاني كالأته بعنايتي ..  
 سأستريح منه ، سأهنا .. وستتبعه نور .. وهذا يضيف  
 الى سعادتي ! يا لسعادتي ! » •  
 وقهقهه .. ومزقت القهقهة صدره .. واستأنف  
 ثرثرته : « هل كانت تنشيتي منحرفة حتى عك الحقوق ؟  
 ويلك يا جونبلان من طائش ! » •  
 وانبجست الدموع من عينيه ! كان في قلبه وجع !

وعاد يثرثر ليفرج الكروب بالكلام :  
« الحكومة الحازمة تلقي القبض على المجرم ! والمجرم  
يكبو . وستقتض العدالة منه ! آآويته لاقاسي الالم ؟ ! » •  
كان في قلبه غصة •• الدم تفجر من هذا القلب !  
وقهقه قهقهة مجلجلة •  
فأن الفضاء من ألمه !



دنا ارسوس من المركبة ، والظلام يلف الدنيا بجلبابه •  
واصطدم بصاحب الفندق ، فصاح : « لماذا تنتظرني ؟ » •  
فخاف الرجل وأجاب : « لا تحق ، ففي داخلي يعمل  
الفرع القتال •• طمئني •• هل يعود جونبلان ؟ من يقوم  
بدرر الضاحك ؟ » •  
فأجابه ارسوس بصوت أجش : « ومن غيري يؤدي  
الدور يا هذا ؟ » •  
وغادره صاعدا الى المركبة ، فنزع اللافتة المكتوب  
عليها - انتصار الانسانية - وعادر أدراجه •  
وسأله الرجل والدهشة مستولية عليه : « لماذا نزع  
اللافتة ؟ ألم تأخذ على عاتقك أداء الدور ؟ » •  
فضحك ارسوس وأجاب : « لن يكون تمثيل ، سأعود  
الى خلوتي وعزلتي •• لافلسف وأنطق بالحكمة ! » •



ثم دخل المركبة ، فدنا من نور ، وفي عينيه تترقق  
دموع محرقة .. وحدث نفسه وهو يتلدد من العذاب :  
« لن يكون تمثيل .. جونبلان زال ، فيا للهول ! ماذا  
أقول لها ؟ ستموت متى عرفت ! » •

واختلس النظر الى وجه نور ، فماله النور المتدفق من  
محياتها .. وتململت الفتاة وضحكت - ولا جرم ان تفكيرها  
بحبيبتها أضحكها •

وضاق صدر الشيخ ، فقال موجهها الحديث الى  
العجريتين : « افني آذانكما وقر ؟ استعدا ، فارتفاع الستار  
وشيك ! » •

وصمت ، ثم هتف : « جونبلان ... لقد غص المكان  
.. أسرع ، استعد ، هلم ! » •  
وارتفع صوت جونبلان يقول : « نور ، حبيبتي .. ما  
أروعك ! » •

وذعرت العجريتان ، وشخصتا الى الباب ، ولكنهما  
أدركتا ان أرسوس نطق بلسان جونبلان وبصوته ..  
وأصمتها أرسوس بإشارة ، ثم قال يخاطب جونبلان :  
« انظر الى الجمهور ، لقد عيل صبره وضاق صدره ! » •  
وهبط ، فكان كأنه جونبلان في خطاه القوية ..  
والتقى الخادم جو ، فالتحى به جانبا وأمره ان يحدث  
الضوضاء •

واقترب صاحب الفندق ، فأوصاه ان يقتدي

بخدمته .. ثم عاد الى المركبة وهتف : « هيا يا جوبلان ،  
أزفت الساعة ! » •

وغنى ارسوس بصوت السكارى .. وصرخ .. فكان  
صراخه صخب غاضب راض !

اختلفت الاصوات ، وكان صوت جو يمتزج بصوتي  
ارسوس وصاحب الفندق .. كان الصدى يتجاوب في  
المكان ليرجع الى أذني نور في لحن ناشز •

ولبس ارسوس جلد الدب وجاء بهومو . وبدأ الفصل  
الأول .. وتقدمت نور وهي تغني أغنيتها الشجية . وبسطت  
يديها فتحسست جوبلان - وكان ارسوس قد تناول  
اللمة التي يضعها جوبلان على رأسه في ذلك الموقف ،  
وآدناها من يدي نور •

وسمرت العمياء في مكانها وكأنها صعقت ، وهمست  
وقد فر اللون من محياها : « أبي ، ماذا أصاب جوبلان ؟ »

انتقم وجه الشيخ ، وشعر بالمولوت ، وتمناه !  
وأنت نور واستتلت بنسيج : « أتخفي الحقيقة ؟ أين  
ذهب ؟ »

وبكت ، وأتمت وهي تشخص الى السماء : « هل  
مات ؟ آه ! انتهت ! نفسي حزينة ! »

كلمات كالسهم اخترقت مهجة ارسوس ، فأثخنت فيها  
الجراح ، وألجم لسانه والتاث تفكيره •

وسمع وراءه صوتا ، فالتفت • واذا بصاحب الفندق  
يرفع بيده مشعلا ، ويومئ باليد الاخرى ، فتعجب  
ارسوس ، ولم يفهم شيئا !

لم يكن يعلم ان زائرين ألما بالمكان وهو مشغل  
بنور ... فقد طرق رجل غريب باب الفندق ، فتحدث مع  
نيكولس صاحب الفندق وذهب .. وما عثم زائر آخر ان  
جاء فتحدث مع نيكولس وذهب •

انضم ارسوس الى نيكولس ، وهمس الثاني : « بقاء  
مسعاك بالفشل ، ولم تنطل الحيلة ! »

قال : « هذا هراء .. انها تشك ، ليس الا ! »

قال : « لا أعبأ بشيء .. انما اعلم ان رجلا  
جاءني ... »

« ومن يك الرجل ؟ »

« غريب لم أفهم لكلامه معنى » وبعد رحيله جاء رجل  
آخر ، كان مدير الملعب الكبير الموجود في أقصى الساحة ! ..  
« ما مراده ؟ »

« عرض صفقة مغرية عليك .. قال ، انه رأى ما جرى  
اليوم ، ويرغب في شراء العربات ، والعمياء ، والفجريتات ،  
والذئب .. ويشترىك أنت ايضا ! »

فابتسم ارسوس واجاب : « اكده للرجل اللئيم ان  
جونبلان لن يبطيء ان يعود ! »

قال : « انظر .. أترى هذه الثياب ؟ ان رجلا آخر  
من رجال الحكومة جاء بعد الرجل الاول فسلمني اياها  
دون ان ينبس بحرف ! »

ونظر ارسوس ، وهلعت نفسه .. هي ملابس  
جونبلان .. اذا ... اذا ... لقد مات جونبلان !  
فواويلتاه ! واويلتاه ! هتف الانسان الكامن في اعماق  
ارسوس .. ثم استدار وأنشأ يعدو بأقصى سرعة !

ما برح الشيخ يعدو ، حتى وصل المكان الذي كمن  
فيه ، ثم اقترب بحذر من السجن ، وهو يتهل الى الله أن  
ينطق الحجارة بالحقيقة . وصدر رنين متواصل ، فتريث  
واصاخ .. فعلم انه صوت النعي ! اذا هناك رجل مات أو  
اماتوه . وانتحى جانبا ، وكمن في ظل دغل ، وانتظر .

واستمر الناقوس يقرع ، ثم صرّ الباب وفتح ، ليبرز  
منه مصباح أحمر . وتقدم حامل المصباح ووراءه رجل ، ثم  
رجلان ، ثم ثلاثة .. وفي أثرهم مشى الضابط الاسود !  
واخيرا خرج أربعة آخرون ، حاملين نقالة الموتى ،  
فاتجهوا بها الى المقبرة !

وأوصد الباب وراءهم !  
وحزّ الالم في قلبه - لقد انتهى جونبلان ..  
وستنتهي نور من بعده !

فتاه ، وابنه .. لاقى حتفه داخل الجدران الملعونة ..  
وثيابه هي البرهان الذي لا يدحض !

وصاح بصوت أسمع الصمّ :

« جونبلان .. قتلوك ... »

وترنح في مكانه .. ثم انطرح على الارض ، واحتضن  
الحجارة .. وانتحب !

أعول ارسوس ، ذارفا الدمع الهتون !  
رثى جونبلان .. ورثى نور .. وتوجع على نفسه  
اللاعبة !

### اما للحنن من آخر ؟

ما أكثر ما زعم ارسوس انه ذو قلب قدّ من صخر ..  
ولكنه بكى وذرف الدمع ، لانه ايقن ان حياته ، وحياة  
جونبلان ونور والذئب انتهت !

فمن اين له ان يعرف الحقيقة ؟  
كان صاحب الفندق يغدو ويروح في القاعة ، هو  
عرضة للهواجس والوساوس •

وتصرمت الساعات وهو يتخبط في افكاره السوداء ..  
وتبلغ الفجر ، وسمع نيكولس ضوضاء ، قرع الباب على  
أثره فلما نظر من النافذة ، كاد يقضي جزعا •

فقد رأى ثلة من الجند ، يتقدمها رجلان ، اخدهما  
الضابط الاسود .. أما الآخر فلم يعرف انه باركملد !

واعاد الضابط قرع الباب ، فهربول المسكين وفتحه •

وصاح الضابط متجهما : « اين ارسوس ؟ »

فأجابه نيكولس مرتعدا : « في المركبة ! »

قال : « ليأت على الفور » •

قال : « ولكنه غادر المكان كما تذكرت الآن ، ولم

يرجع » •

واقبل أرسوس من بعيد وهو يتعثر بالحجارة ، وكأنه  
ثمل افقدته الخمر اتزانه ! ••

شعر نيكولس بعبء يرتفع عن كاهله ، فصاح به  
يقول : « انت مطلوب يا أرسوس ، عجل فقد عيل صبر  
طالبك » •

ووقف ارسوس ، ففرك عينيه يديه ، ونظر الى  
محدثه ، ونظر الى الجماعة ، وخيل اليه ان حجارة البناء  
تهاوت على رأسه — أما اكتفوا ؟ أما اقتنعوا ؟

والتفت اليه الضابط الاسود وأوماً برأسه ، ثم دخل •  
وتبعه أرسوس صاغرا مستسلما ، وتبعه أيضا صاحب  
الفندق •

ولما استتب بالضابط المقام ، وجلس باركفد قريبا منه  
قال يخاطب ارسوس : « قيل ان لديك ذنبا ؟ » •

فقال ارسوس : « عندي ذنب لا كالذناب ! » •

« ألا تعلم ان القانون يحرم اقتناء الوحوش  
الضارية ؟ » •

« لا أجهل نصوص القانون ، ولكن ذنبي أليف  
لطيف ! » •

« كلاًم هراء .. وانت مهذار ! واعلم انك ان لم تبارح  
الديار ، اخذت ذئبك وأمرت بقتله ! » •

كان هذا اكثر مما يستطيع ارسوس تحمله ، فكد  
يسقط ، ولكنه تجلد وانتظر •

واستطرد الضابط : « يجب ان تطيع فترحل ! » •

فأجابه : « ولكن ... » •

فقاطعه الضابط غاضباً : « وان أبيت أخذنا الذئب  
قسراً ، ثم سقناك الى السجن » •

وأجابه ارسوس بعينين دامعتين : « أتعني انه ينبغي  
علي ان أرحل بالذئب ؟ » •

قال : « هو ذاك .. ودون ابطاء ! » •

قال : « وكيف يتسنى لي ان أرتب اموري بالسرعة  
التي تفرضها ؟ » •

وهز الضابط رأسه وقال : « عليك ان تأخذ اول  
سفينة تسافر الليلة » •

فقال ارسوس متوسلاً : « بيد ان مركبتي كبيرة ، لا  
أستطيع ان أصل بها الى النهر في الوقت الملائم » •

قال : « هذا شأنك ، فاذا تأخرت قتلت الذئب ! » •

وهلعت نفس ارسوس ، أما صاحب الفندق فقد ابتسم  
وهو يقول : « ليتك لم تنس حديثي معك عن الراغب في  
شراء المركبة » •



فقال ارسوس : « ماذا ؟ أبيع المركبة ؟ » •  
وقال صاحب الفندق موجهًا الحديث الى الضابط :  
« أجل يا سيدي ، هناك من يرغب في شرائها ! » •  
وابتسم الضابط ، وأجاب : « ليكن هذا .. ليشتريها  
الرجل ، لانه سيحتاج اليها في نقل أمتعته ! » •  
وصمت ، ثم أردف :

« أتم جميعا راحلون .. انت يا ارسوس الى الخارج ،  
وهم الى داخل البلاد . فالنبلاء أصحاب الارض اشتكوا من  
وجودكم ، فصدر الامر بابعادكم ! وهذا السيد يحمل معه  
الامر النهائي ! » •

وقال ارسوس ، وقد دار في خله فكر أحيًا ميت  
الامل :

« سمعا وطاعة يا سيدي ، سأغادر البلاد بالسفينة  
فوجر ، بعد ان أتخلص من مركبتي بالبيع ، بيد ان هناك  
شخصا عزيزا علي أحب ان أطمئن الى وجوده قربي ، وهو  
جونبلان كما تعلم » •

وارتفع صوت باركفلد : « من العبث ان تنتظر ، فلن  
ترى وجهه ، لانه قضى نجه ! » •

وأصابت الطعنة النجلاء ارسوس في الصميم - لقد  
مات جونبلان ، فما حاجته الى الانتظار ؟  
وأحنى الشيخ رأسه ، وغضون وجهه تفصح عن عذاب

قلبه ، بينما أخذ صاحب الفندق يظهر من الفرح أشده ، ومن  
الاستبشار أكثره !

ونفض باركفلد ، فوضع كيسا صغيرا على المائدة وهو  
يقول : « في الكيس عشرة جنيهات ، بعث بها اليك محسن  
متكتم ! » •

لم يلق أرسوس بالا الى النقود ، وظلت أفكاره تهيم  
في أودية مظلمة يعيش فيها الموت !

فمن أين له ان يعرف ان الجنيهات العشرة ما هي الا  
نقطة في بحر ، وان جونبلان او اللورد كلانشار بعث اليه  
بألفين لا بعشرة ؟!

ران الصمت على الجميع ، ولكن باركفلد قطعه بقوله:  
« اخالك أيها الضابط انتهيت من أرسوس ، فأقسم  
عملك لاني مضطر الى الذهاب ! » •

وامثل الضابط فدنا من الباب ، وأمر الجند ان  
يدخلوا ، فصعدوا بالامر !

واتنفض نيكولس ، وتساءل عن معنى دخولهم ، ثم  
قال للضابط الاسود : « ذرني أطلب اليك ان تأمر رجالك  
بالذهاب ، فما لك بهم حاجة بعد ان انهيت عملك  
بالاتفاق ! » •

وابتسم الضابط وقال : « ان مهمني لم تنته بعد ،  
فشمة رجل ينبغي ان أسوقه الى السجن » •

فقال نيكولس : « ومن الرجل ؟ » •

قال : « لا أحد سواك ! » •

وحملق نيكولس ، وقد خيل إليه ان صوت الضابط  
مطرقة تهوي على رأسه وعلى أذنيه ! وقال وهو يلهمث من  
شدة الخوف : « أنا .. أنا .. ولماذا ؟ » •

فقال الضابط : « نعم ، أنت .. لا يوائك هؤلاء ..  
فهم شذاذ آفاق اكتفت الحكومة باقصائهم ، اما أنت  
فسنستجوبك ، وسيكون حسابك عسيرا ! » •

وألقى الجنود القبض على نيكولس ، وعلى خادمه  
جو !

ولم يعلم أحد ما جرى للرجلين ، فالموت في ذلك  
العصر كان أخف عقوبة تنزل بانسان !



النفس البشرية أمارة بالسوء ، والافسان مخلوق  
ضعيف مهما قوي !

فتح جونبلان عينيه فرأى كونا لم يعهده ، ورأى انه  
أضحى أعلى مرتبة من البشر •

عاش في دنيا مقفرة ، وها هو ينتقل الى دنيا الاحلام •  
واستلقى على أريكة مطرفة بالذهب ، ووضع رأسه على  
طنفة مخملية محشوة بالزغب ، وشرع يرود بعقله آفاق

الفكر ! وتسمرت نفسه ... « يا ويلهم ، أنا النبيل ابن  
النبيل أحرم من حقي ! » •  
كان عظيما في عصمته ، ولكن العظمة تقهقرت أمام  
الاغراء !

وأغبس الظلام ، واختلطت في لبه الافكار المتضاربة ،  
وتجاذبته التيارات •

وطلع النهار والضحاك في صراع مع المثل العليا ••  
ولما لحظ خيوط الشمس المتسربة ، غمر قلبه النور فصاح :  
« ماذا فعلت ؟ وكيف تركت نور ؟ » •

عجبا ! هل للشمس سحر ؟ والا فكيف يعود الى  
رشده ؟ وتراءى له وهو في نشوته الطارئة ، انه ربح الباقية !  
ووئب كالمجنون •• وأنشأ يخاطب نور : « اي قرة  
العين ، اصفحي عني ، فأنا لك •• لبيك ، لبيك ! لبيك يا  
نور •• لبيك يا أرسوس •• أنا قادم اليكما ! » •

ومشى الى الباب ففتحه وخرج ، وتقدم في دهليز  
كسيت أرضه بالسجاد ، وولج قاعة فسيحة ، ثم انصلت الى  
دهليز آخر ، فوقف ، وتأمل ، وفكر !

### القصر

كانت القصور في ذلك العصر كالشبكة المختلطة ، لا يعرف الغريب كيف يخرج منها •

لم يفت جونبلان اثناء بحثه عن المخرج ما كان يعرض له من الرياش والفراش والزينة •• ولكنه شعر بالانقباض بعد ان أعيته الحيلة •• خيل اليه ان القصر مهجور ، فقد خلا من الناس وأطبق عليه السكون !

وتناهى اليه بغثة صوت خافت ، فوقف وأصغى •• ثم اتجه صوب الصوت وفتح بابا اعترض سبيله ، فألقى نفسه يشرف على حجرة رحبة صنعت جدرانها من المرمر ، وبني في وسطها حوض تتوسطه نافورة •

ورأى في جانب من الحجرة ، صفة مستطيلة تكسوها ملاءة من الحرير ، وشده ••• فقد شاهد غانية رائعة الحسن تجلس في غرفة أخرى فتح بابها على مصراعيه •

امرأة فاتنة عارية ، ألقت على جسدها غلالة رقيقة تزيد  
من روعة الجسد الشهي !

وتدفق الدم في عروقه ، وخفق قلبه .. فحرق الى  
الجسد الرائع ، ونقل طرفه الى الصدر الكاعب .. ولكنه  
رأى في الوجه امرأة يعرفها — رأى النبيلة العريقة ، الدوقة  
جوشيانا ! وخفق قلبه بشدة ! انها الاتى التي تاق اليها ..  
انها صاحبة الرقعة !

انبهرت أنفاسه ، وخيل اليه ان الدنيا تدور وتحلق في  
أجواء الاماني !

حدثته نفسه بالهرب .. ولكن أنى له ذلك ، وهو  
المكبل بأصفاد الصباية !

وأغمض عينيه — خاف منها ، وأحبها ! خشيها ، وحن  
الى قربها ! وتراءت له الحياة مصيبة كبرى ! وألقى في  
النهاية سلاحه ، فهو أضعف من ان يقاوم .. فالشر مائل  
بأجمل صورته ... وعجب للصدف ... لقد تمايلات عليه  
القوى والعناصر ، ولا مندوحة له عن الاستمرار في ما  
رسم له !

وظلت الحورية في ضجعتها ، لا تشعر بوجوده .

ودفن المسكين رأسه بين راحتيه ، وتأوه !

وكأنها شعرت بوجوده ، ففتحت عينيها ، وأبعدت  
ساقا عن ساق ، وتشاءبت .. ولم تلبث ان وقفت تتأمل في

قوامها ، وتقول في غنج :

« من هناك ؟ اللورد ديفيد ؟ متى جئت يا ديفيد ؟ » •

وتقدمت بدلال الواثقة ، فلما رآته لم يشب ملامحها  
أي ارتباك . بل اندفعت نحوه ، وأحاطت عنقه بذراع  
عاجية ، وأدنت فمها من فمه وهمست : « انت هنا ؟ انت يا  
جونبلان ؟ » •

وتحرك في اعماقه شعور نائم .. هي جميلة .. لم ير  
أجمل منها !

وما لبثت المرأة المليحة ان هتفت : « ما أروعك ! ما  
أشعك ! ما أكثر التناقض فيك ! » •

خاف جونبلان .. أراد البقاء ، وأراد الهرب ! أراد  
ان يريق عاطفته على مذبح الجمال ، وأراد ان يفر من  
السحر !

وتحفز ليذهب .. ليفر .. ليهرع الى نور ! بيد انها  
أمسكت بيده وهي تقول :

« أمرتني الملكة ان أنتظر في هذا القصر ، فصعدت ..  
أما أنت ، فماذا جاء بك ؟ وكيف سمحوا لك بالدخول !  
أتعلم اني أميل الى ما هو خارق للطبيعة ؟ انت تختلف عن  
الرجال ؟ لهذا أحببتك ! » •

ونسي جونبلان انه جونبلان ، واستحوذ عليه الغرور .

شعر ان هذه المرأة له .. له هو .. الضاحك المشوه !

ورفع رأسه ، وشمخ بأنفه !

\*\*\*

قالت الدوقة وهي ترنو اليه بلحظ ذابل :

« متى جئت يا حبيبي ؟ أعجبتك جسدي ؟ أتبادلني  
هيامي ووجدتي ؟ أقرأت رسالتي ، ام تجهل القراءة ؟ لا ..  
لا .. لا تتكلم .. اجلس ! » .

وجلست ، ورمته بنظرة فاترة مشبعة بالشهوة ،  
واستتلت :

« بوجودك ، الجاه أضحي سرايا ، والرفعة انحطاطا !  
وما أنت الا ما يجب ان تكون الحياة ! لقد سئمت المظاهر  
الكاذبة الخادعة .. انا عذراء بحثت عن الرجل ، فلما  
وجدتك ، وجدت الرجل .. هاأنذا بين يديك ! »

وارتعدت فرائضه ، ما ابداع الجسد ! وفتح فاه ...  
ولكنها سبقته فقالت : « ما أروعك ايها الفطري ! » .

وهبت واقفة واستطردت : « انت لي .. انت جزء  
مكمل .. وأنا النصف الذي وجد تتمته ! سأهب اليك  
روحي وجسدي ... وليقولوا - ماذا دهاها حتى سقطت  
الى الدرك ؟ » .

وانبهر نفسها ، وتضرج محياها ، واهتز ردفاها ! وفقد



جونبلان وعيه • ودنت منه الحسناء فقبلته ، ثم ادنته  
والتصقت به !

شعر ان في فيها اكسير الحياة •• وان رضاها هو  
الاكسير !

وتراجعت الملتهبة صباية حينما طرق سمعها صوت  
الباب يقرع • وبرز من الجدار حاملة خشبية فوقها مظروف ،  
فتناولته وفضته ، فاذا فيه كتابان •• فقدحت عيناها بالشرر  
وقالت :

« قبحا لك من ملكة ! ماذا تظلين ؟ » •

واستلقت على الارىكة ، وناولت جونبلان احدي  
الرسالتين لكي يقرأها •

وامثل جونبلان وقرأ :

« عزيزتي - ازدوك بصورة عن اعتراف انسان مذنب •  
اللورد كلائشار مات عن ابن ، وابنه مهرج يدعى جونبلان !  
فرغبة مني في اعادة الامر الى نصابه ، قررت ان ارجع  
للرجل المغبون حقوقه المغتصبة •• الا اني أتمنى ان تحتفظي  
بالاموال ، وما عليك الا ان تستبدلي اللورد ديفيد باللورد  
كلائشار •• وقد سيرنا اللورد كلائشار الى القصر ، فالرجاء  
ان تتخذنا الالهة وتمهدا للزواج ! » •

اختطفت الرقعة من يده ، ثم تناولت الكتاب الثاني  
فاذا به اعتراف رجال المركب !

وهزت رأسها وهي تقول : « أمر ملكة •• لا يسعنا

• الا الامثال ! »

ورفعت بعد قليل رأسها شمما وأردفت بزرابة :  
« والآن اذهب من هنا ! » •

لم يحرك جونبلان ساكنا • • واستتلت : « أنت زوجي  
المقبل ، فاذهب ! غادر الحجرة ! » •

ولكن جونبلان مكث واقفا في مكانه • • فقالت  
بصوت متهدج : « انت زوجي • • فاخرج ! فلي عاشق ،  
وعشيتي هو حبيبي • • اخرج أيها الزوج ، وليأت العاشق ! »  
ولما رآته لا يبرح ، نهضت وقالت غاضبة : « أنا اذهب  
أيها الحقير ! » •

وخرجت عادة كتب لها ان تستبدل رجلا جميلا برجل  
بشع !

وبقي هو • • بقي لا ليفكر ، بل ليحلق ، وكأن في  
رأسه فراغا !

## النيران

مضت الدقائق وجونبلان مشلول الارادة ، وسمع  
فجأة صوت خطى ، فاستدار ليرى رجلا أنيق المظهر يتقلد  
بسييف معقوف •

انتفض واقفا كأنه أصيب بمس - فهو يعرف الرجل ،  
انه توم جيم جاك ! •

ودنا القادم منه وسأله مقطبا : « كيف جئت ؟ ماذا  
تصنع هنا ؟ » •

وأجابه جونبلان : « وانت .. أينحق لك غشيان  
القصر ؟ » •

« بالله عليك .. من فتح لك الابواب ؟ » •

« قل انت أولا ، ماذا أتى بك ؟ » •

« أفني حلم أنا ؟ من اين لك هذا اللباس ؟ » •

« لباسك فخم ، فمن اين هو ؟ » •

« أتجرؤ على طرح الاسئلة ؟ » •

- « وكيف تتجاسر أنت ؟ »
- « أنا لست توم جيم جاك »
- « وانا اسمي غير جونبلان .. وانت غريب هنا ! »
- « أنا غريب ؟ قبحك الله يا جونبلان »
- « اصمت أيها البحار المكثار ! »
- « كفالك لغوا ! سأؤدبك .. فمعي لمثلك عصا تعرف طريقها اليك ! »
- فثار جونبلان ، وأجاب وهو يتحفز : « لن أغضي عن قحتك أيها البحار ، ستندم ، ولات ندامة ! »
- « لن أقاتلك بالسيف ! »
- « كلا .. بل بالسيف ! »
- « أي جونبلان ، السيف لم يصنع للرعاح أمثالك ، فهو سلاح النبلاء ، وانت حقير .. أما انا فأمير البحار ! »
- « انا ذو حسب ونسب ، واتمي الى مجلس اللوردات »
- وقهقه الرجل وقال : « لعلك ملك .. ولا عجب ، فالمهرج يطيب له المجون »
- « متى سألت علمت »
- « أف لك .. انا اللورد ديفيد .. أفهمت ؟ »
- « وأنا اللورد كلانشار .. أفهمت ؟ »
- وقهقه اللورد ديفيد مرة ثانية وهتف : « لم أعرفك تجيد التمثيل الى هذا الحد أيها الضحاك ، ولهذا اصفح

عنك . فأنا عاشق . وأنت عاشق كما يبدو . وعشيقتنا  
واحدة ! » •

وتنحنح رجل في مكان خفي . . . والتفت الندان  
فشاهدا باركفلد يتقدم نحوهما •

لم يلتفت الجاسوس الى اللورد ديفيد ، بل انحنى  
باحترام امام جونبلان وقال : « سيدي ، انا مدير الاستقبال  
في البلاط ، وقد أمرتني جلالته باستدعائك الى قاعة  
العرش ! » •

وذهب جونبلان ، فاستقبلته الملكة ، وفي اليوم  
نفسه ، اخترقت الشوارع عربتان ، جلس في الاولى مدير  
المراسيم ، وفي الثانية رجل يغطي نصف وجهه بقبعة كبير ،  
ولم يكن سوى جونبلان • وكان منطلقا الى اجتماع مجلس  
اللوردات ، ولما أشرفت العربة على العاصمة ، تبعها فرسان  
يلبسون ثيابا موشاة ، أيقن جونبلان انهم من حرس الملكة •  
وقفت العربة اخيرا امام البناء الكبير ، وترجل جونبلان  
فأهرع اليه رجل كهل ، انحنى باحترام وافسح له طريق  
الدخول وما كاد يتوسط القاعة حتى وقف الرئيس وخاطبه  
قائلا:

« أيها اللورد كلانشار ، اجلس في مكانك ! » •  
وجلس جونبلان ، وقال الرئيس : « ارحب بمقدمك ،  
وابتهل الى الله ان يسدد خطاك ! » •

كان مهرجا وغدا نبلا •• فتفتت احساسه الى مشاعر  
متناقضة متنافرة ••• فهو يصبو الى نور وارسوس ، وفي  
الوقت نفسه ينظر الى بعيد ، ويرى ما دان له من المجد !  
وعلا اللغو •• كان الواحد من المجتمعين يقول لجاره  
همسا : « انه كله فم ! » •

وكان الجار يجيب : « انه لا يفتأ يضحك ! » •  
حاولوا ان يتبينوا ملامح جونبلان ، ولكنهم لم  
يستطيعوا !

ودخل ممثلو الملكة ، فخف الرئيس الى استقبالهم ،  
ووقف الاعضاء •

وقال الرئيس : « ايها النبلاء ، باسم الملكة افتتح  
الجلسة » •



مجلس اللوردات مسرح يمثل نبلاء انكلترا على  
خشبة قصة هزلية •• فبعد المراسيم ، ينهض الرئيس ويعلن  
بدء العمل •

وقد فعل الرئيس ذلك ، ثم طالب بمضاغفة مخصصات  
الامير جورج زوج الملكة • ولم يعارض احد • ولكن عندما  
هتف أمين المجلس باسم اللورد كلانشار ، تريت جونبلان ،  
ثم نهض واقفا •

وفقر الجميع أفواههم ، وتساءلوا عما اذا كان قردا  
او انسانا •

وحاول جوبلان ان يتكلم ، ولكن أحدهم قال : « من  
انت يا هذا ؟ من ؟ » •

وساد الصمت ، وقال جوبلان بصوت متهدج :  
« أتسألني من أنا ؟ أنا عنوان الشقاء •• انا المأساة ! وأتم  
أيها السادة تعيشون في منأى عن الشعب •• كل شيء لكم ،  
وقد أنسيتم ان هناك شعبا يحيا كالسائمة ! » •

وارتفعت الاصوات تطالب باسكات المجنون •• الا  
ان صوتا ثاقبا تردد صدهاء في القاعة يطلب اليه ان يستمر ،  
وتابع جوبلان :

« لا تبصرون الخطر ، ولا ترون ما حولكم ••• ان  
الجهل منتشر ، وهناك بصيص لا يبرح يقوى ، وسيصبح  
شعلة ساطعة ، بل نارا محرقة •• انه وهج مستمد من  
الشمس •• ولا يسعكم ان تطفئوا الوهج متى اضطرم  
وتأجج •• انها الشمس •• والحق هو مثل الشمس !

« أنا ، من أنا ؟ صوت من عالم المجهول يهيب بكم ان  
تفتحوا قلوبكم للشعب ! خلقت مع الشقاء ، وعشت في  
عوز •• أنا أتكلم الآن ، ولكنني أحفر في ماء ، ولا يجد  
صوتي الا الصدى !

« شاء القدر ان يحولني من مهرج الى لورد ، لقد

خلبني اللقب منذ ساعة ، الا ان قلبي انتفض متمردا على  
نفسي ، فأنطق لسانني •

« كانت أسناني في الشتاء تصطك ، وكان رأسي في  
الصيف يتصدع •• كنت أجوع وأتعرض للمهانة •• ولكنني  
كنت احتمل المآسي بصبر وإيمان •

« أنا أنطق باسم الملايين •• أرواحهم البائسة فوضتني  
بالكلام •• فأتم يا من أكلتم حتى اتخمتهم ، أنتم لا تسمعون  
ولا تبصرون •• أنتم جبنا تتهربون من الحقيقة ! » •  
دوت القاعة بالهتاف والضحك ، وشرع اللوردات  
يتندرون ، ويقولون :

« يا للمهرج ! لقد أضحكنا وأبكنا ! فليستمر ، فنحن  
أحوج ما نكون الى مثل هذا اللهو ! » •

وصاح جونبلان : « اصمتوا أيها النبلاء ! أنتم أقوياء ،  
فانفخوا القوة في أرواح الضعفاء ، بذلك تنقذون الملايين !  
ثم أليس من العار ان تلجأ سيدة البحر الى النكلة ؟ أراى  
أحد منكم رجلا يعلق من قدميه ؟ او يستخرج بثوبة عينه  
من عينه ؟ أتذوقتم طعم الفحم في المناجم ؟ » •

وضحكوا مليا وهزأوا وتهكموا ، وانفجر الضحك  
بصوت كأنه صوت النقرة :

« أف لكم ! أنا نبيل مثلكم ، ولكنني أركل هذه  
الصفة ! ايها الزائفون ، ستنهارون وتهاوون ••• ستبزع



الشمس عن قريب ! » •

وانبرى أحدهم يقول : « أمن أجل هذا جئت ؟ » •  
فأجابه جونبلان : « أنا من الشعب •• أنا الضاحك  
الباكي •• انظروا الى وجهي •• لقد فعلتم بغيري مثل ما  
فعلتم بي ، فأنتم أقوياء ونحن ضعفاء •• ولكن الساعة  
الرهيبة لا محالة آتية ! » •

وعيل صبر الرئيس ، فأعلن انتهاء الجلسة ، وغادر  
النبلاء القاعة مخلفين جونبلان وراءهم • وعندما خلا المكان  
خرج وهو مطأطئ الرأس ، الا انه في الطريق رفع هذا  
الرأس وتمتم بصوت رقيق :  
« أيتها الحبيبة ••• اني قادم ! » •



اتجه جونبلان الى الفندق ، كان يرتدي ثياب لورد من  
السادة ، فادهش منظره رجال الحرس ، ولكنهم لم يجسروا  
على اعتراض سبيله •

لم يكن قلبه ينبض فقط ، بل كان يضرب كالمطرقة ،  
ولم تكن نفسه تتعجل الزمان فحسب ، بل تطير لتسبقه •  
واقترب من الفندق ، فلم يبصر شيئاً غير الظلام ••  
فأين الضوء ؟ وطرق الباب فلم يستجب أحد ••  
طارت نفسه شغاعا ، فصاح ينادي صاحب الفندق ••

ثم وثب كالمجنون فلم يجد المركبة .. وأجال طرفه فيما  
يكتنفه ، وفغر فاه ... لقد امحى كل أثر للمركبة .. ولم  
يعد هناك أي ملعب من الملاعب التي تركها على خير حال منذ  
يومين .

وجعل يضرب على غير هدى وهو يعول ، وما بصرح  
يندفع من مكان الى مكان ، حتى قادتة خطاه الى النهر .  
لقد تخلص عن كل شيء لاجل ارسوس ونور ، وما هما  
يتلاشيان .. فماذا أصابهما ؟

وتأوه وهو يرى الشقاء يفتح فاه لابتلاعه .. وقهقهه  
وزمجر .. وصاح بصوت مجنون أودت الكارثة بعقله :  
« هربت حفاظا على انسانيتي ، وتفضيلا لحبيبة قلبي  
نور ... ولكن الدنيا ولت الابدبار ... واختفى الجميع ..  
حتى هومو الذئب ! » .

وصاح به شيطانه : « أنت معتوه ، والا لما تخلصت عن  
النعمة التي أتنك صاغرة ! » .

ولكنه سمع صوتا آخر يقول : « لا تأسف على ما  
فات ، فالفناء هو النهاية الطبيعية ، وليس هناك حقيقة  
واحدة خلا الطبيعة ... أما الدنيا ، فهي مقبرة لنا .. بؤرة  
لأجسادنا ! » .

وشخص الى المياه المناسبة ، وضغط على الحديد ،  
وتحفز ليقفز الى الماء ، ولكنه شعر بكائن يتمسح به ،

وبلسان يلحق يده .. فقف شعر رأسه ... ثم تذكر .  
فلمعت عيناه ... ورأى الذئب ... رأى هومو !  
شعر كأنه غريق انتشل ، فانبعث الامل في قلبه .  
وصاح بغبطة وحبور !  
« هومو ... »

**\*\* معرفتي \*\***  
**[www.books4all.net](http://www.books4all.net)**  
**منتدى سور الأزيكية**

قال : « ان الله قادر على كل شيء .. فتجلدي .. ان  
رحمة الله سابعة ! » •

قالت : « أبي ! أخذوا جونبلان .. اقتزعوه ..  
أماتوه ! كنت قبل ذهابه أرى بعيني المكفوفتين كل شيء ..  
كنت أرى الشمس والقمر والنور والظلام ! كنت أراه  
وأراك ... أما الآن .. الآن ! » •

فهتف الشيخ بصوت يلين الجماد : « أبتهل اليك ان  
تصمتي .. صوني نفسك من أجلي .. أنا أبوك ! » •  
وحملت نور بعينيها .. ودهش أرسوس ، وتساءل  
بذعر : « أماتت نور ؟ هل أسلمت روحها الطاهرة لتلحق  
بجونبلان ؟ » •

وارتفع صوتها ، فأيقن من أنها تعاني سكرات الموت ..  
قالت : « حبيبي جونبلان ... أنا عمياء ، ولكنني أراك  
باحساسي ! انت تقف هنا ، هنا قريبا مني ! أرى وجهك ،  
بل قلبك ، بل طيبتك ! وأسمع صوتك دون ان ينطق به  
لسانك ! جونبلان ذرني ألس وجهك الجميل ! » •

وتأوه أرسوس وزفر ، ثم رفع رأسه ، وأجال طرفه ،  
وندت من صدره صيحة استغراب — أهو الآخر مريض ؟  
أهذا المائل أمامه جونبلان ؟ أم ان طيفه تجسم فني صورة  
إنسان ؟ لا ، لا .. انه جونبلان ! •

واندفع الطيف فاحتضن حبيبته وقبلها ، وهو يقول

أنائمة أنت ، أم منصرفة عن الدنيا ؟ أأصابك سوء ؟ أحاقت بك المنية ؟ كلا .. كلا .. فجسدك دافىء ، وقلبك خفاق ! «  
وتنبه أرسوس الى الذئب فقال برفق ومحبة : « يا هومو العزيز ، خلت أنك أنت الآخر ذهبت .. قريبا نمخر العباب ، فننسى المصاب ، وتبرأ نور من وعكتها .. ها هي السفينة ترفع مراسيها ، فالوداع أيها الشاطيء .. الوداع أيها الثرى الذي ضمنت اليك أحب انسان ! » .

وتنفس الصعداء ، واستطرد : « ما بال جسدك ينتفض كعصفور بلله القطر يا نور ؟ رباه هل أسأنا لاحد حتى يطبق علينا الشقاء ؟ ان السفينة تبتعد عن المدينة الموبوءة الظالمة ، ومع ذلك لا أملك من أمري الا ان أودعها بكلمة طيبة ، لاني تركت فيها أعز انسان ! » .

وداخل روع الشيخ المتاع أنه يسمع ركزا ، فحلق في وجه نور ، فاذا بالشفقتين تختلجان ، وسمع بعد هنيهة صوتها الواني يتمم ويقول :

« أبتاه ! ألم يعد الي جيبى ؟ هل ذهب دوني الى عالم آخر ؟ أنا أحبه ، فأين هو ؟ » .

وقال أرسوس ونياط قلبه تتقطع : « ناشدتك الله ان لا تعذبي نفسك وتعذبي شيخا هدمته الرزية ! » .

قالت : « أنا أطلب حقا .. أطلب انصافا .. ماذا اقترفت حتى يتألب علي البغي والجور والعدوان ؟ » .

قال : « ان الله قادر على كل شيء .. فتجلدي .. ان  
رحمة الله سابعة ! » •

قالت : « أبي ! أخذوا جونبلان .. اقتزعوه ..  
أما توه ! كنت قبل ذهابه أرى بعيني المكفوفتين كل شيء ..  
كنت أرى الشمس والقمر والنور والظلام ! كنت أراه  
وأراك ... أما الآن .. الآن ! » •

فهتف الشيخ بصوت يلين الجماد : « أبتهل اليك ان  
تصمتي .. صوني نفسك من أجلي .. أنا أبوك ! » •  
وحملت نور بعينيها .. ودهش أرسوس ، وتساءل  
بذعر : « أماتت نور ؟ هل أسلمت روحها الطاهرة لتلحق  
بجونبلان ؟ » •

وارتفع صوتها ، فأيقن من أنها تعاني سكرات الموت ..  
قالت : « حبيبي جونبلان ... أنا عمياء ، ولكنني أراك  
باحساسي ! انت تقف هنا ، هنا قريبا مني ! أرى وجهك ،  
بل قلبك ، بل طيبتك ! وأسمع صوتك دون ان ينطق به  
لسانك ! جونبلان ذرني ألمس وجهك الجميل ! » •

وتأوه أرسوس وزفر ، ثم رفع رأسه ، وأجال طرفه ،  
وندت من صدره صيحة استغراب — أهو الآخر مريض ؟  
أهذا المائل أمامه جونبلان ؟ أم ان طيفه تجسم فني صورة  
انسان ؟ لا ، لا .. انه جونبلان ! •

واندفع الطيف فاحتضن حبيبته وقبلها ، وهو يقول

بصوت يسيل رقة وعذوبة :

« أيتها الحبيبة ! لقد رأني قلبك قبل عينيك .. ان  
عينيك مكفوفتان ، ولكن الله أضفى عليك من لدنه النور  
السماوي ، فأصبحت أكثر الناس ابصارا ! » •  
ونشجت نور ، وكفكف جونبلان مدامعها ، وأعانها  
على الجلوس .. ونظر الاثنان - جونبلان بعينيه ونور  
باحساسها - الى ارسوس ، فشاهدا الشيخ يحتضن  
الذئب ، وشاهدا الحيوان العجيب يذرف الدمع !  
واقترب الاربعة من بعضهم البعض ، حتى امتزجت  
عبراتهم كما امتزجت حياتهم منذ سنين ، وكما امتزجت ثانية  
بعد فراق وشقاء !

\*\*\*

في ليلة دامسة الجلباب ، عثر طفل شريد على طفلة  
سلبها البرد نور عينيها •

في تلك الليلة المقرورة ، رسم القدر خطين لحياتين •  
في تلك الليلة ، كتب للخطين ان يلتقيا •  
وقد التقيا ، وامتزجا ، واندمجا •

وعاش جونبلان مع نور في كنف ارسوس •  
عاشا ما شاء لهما الله ان يعيشا •

عاشا في جنة ، ولما ماتا ، ارتفعت روحاهما الى جنة !



## قصص الملايين

مسلسل روائي يصدر تباعا .. يضم اجمل الروايات  
واغناها في الحوادث والمفاجآت والمغامرات ..

صدر منها :

- |                |                                |
|----------------|--------------------------------|
| أنتوني ناتنغ   | ١ - أهوال الجاسوسية            |
| فرنون سوليفان  | ٢ - الانتقام الاسود            |
| ميكي سبيلين    | ٣ - أفا القاضي                 |
| نيقولاي غوغول  | ٤ - يوميات مجنون               |
| أنطوني هوب     | ٥ - سجين زندا                  |
| سومرست موم     | ٦ - الزلة الكبرى               |
| سومرست موم     | ٧ - شهوة امرأة                 |
| اميل زولا      | ٨ - الوحش                      |
| فكتور هيجو     | ٩ - الضاحك الباكي              |
| اميل زولا      | ١٠ - تيريز راكان               |
| ليليان روث     | ١١ - سأكبي غدا                 |
| روبرت ستيفنسون | ١٢ - الدكتور جيكل والمستر هايد |



## قصص الملائين

ضَمَكِ مَنِي عَافَةِ الضَمَكِ  
ضَمَكِ فَأَضَمَكِ ، وَلَكِنَّهُ بَاكِ  
وَكَانَ بَكَارُهُ ضَمَكًا مَدْفُوعًا  
صَبِيحَتِي أَتَوَّعُهُ وَمَزَّوَا فَا  
أَتَوَّعُهُ حَتَّى أَضَمَّكَوهُ  
وَلَمْ يَبْقَاصْ لِبُرْءِهِ سَوِي تَلَايَا  
يَبِيحُ .. رَعِيَاءُ .. وَزُئْبُ ..

**\*\* معرفتي \*\***

**[www.books4all.net](http://www.books4all.net)**

**منتدى سور الأزيكية**